العدد 5

مجلة شذرات ثقافية

أ. د. عماد عبد الرازق

سؤال الهوية في فكر طه حسين

د. عادل المراغى

الإنصاف والكبريت الأحمر

الشيخ عبد الله الخليفي

ما تعلمه بنو آدم من الحيوانات..

د. طارق السرحان

برهان الإمكان

د. محمد الأمين

نبذة عن تاريخ نشأة الحياة

د. محمد يسرى

كيف نظر مفكري العرب للاستشراق والمستشرقين؟

د. على حسن الروبى

حول دعوى محاباة الشريعة للسلطة الظالمة


بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠



عنوان المقال

مقال: الدكتور محمد يسري

كيف نظر مفكري العرب للاستشراق والمستشرقين؟

رغم كل التعريفات التي عُرف بها الاستشراق، إلا أن التعريف الذي وضعه البروفيسور إدوارد سعيد في كتابه (الاستشراق) يبقى واحداً من أهم وأشمل التعريفات التي حاولت أن تتناول ذلك المفهوم؛ إذ جاء فيه أن الاستشراق هو (أسلوب تفكير يقوم على التمييز الوجودي المعرفي بين ما يُسمى الشرق وبين ما يُسمى -في معظم الأحيان -الغرب).

وعلى ذلك التعريف السابق يقوم (سعيد) بتعريف المستشرق، بأنه هو (كلّ مَنْ يعمل بالتدريس أو الكتابة أو إجراء البحوث في موضوعات خاصة بالشرق، سواء كان ذلك في مجال الأنثروبولوجيا -أي علم الإنسان -، أو علم الاجتماع، أو التاريخ، أو فقه اللغة، وسواء كان ذلك يتصل بجوانب الشرق العامة أم الخاصة).



ورغم الأهمية الكبرى التي تحظى بها العلوم الإستشراقية في الغرب، إلا أنه في الوقت ذاته نكاد لا نعلم شيئًا مؤكدًا حول الجذور التاريخية والبدايات الأولى للاستشراق؛ فلا يُعرف على وجه الدقة مَنْ هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية، ولا في أي وقتٍ كان ذلك.

ومن الممكن اعتبار أن الاستشراق قد ابتدأ وجوده الرسمي بالقرار الذي اتخذه البابا هونوريوس الرابع بإنشاء معهد لتعليم اللغات الشرقية في عام 1285م، ثُم تأكد ذلك الوجود بالقرار الذي اتخذه البابا إكليمنس الخامس في مجلس الكنائس بمدينة فيين الفرنسية (1311- 1312م)، وذلك عندما أُعطيت تعليمات واضحة بإنشاء سلسلة من كراسي الأستاذية

للغات العربية واليونانية والعبرية والسريانية في باريس وأكسفورد وبولونيا وأفينيون وسالامانكا.

وقد تزايد الاهتمام بالاستشراق في الغرب مع مرور الوقت، وبلغ الاهتمام به الذروة خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وقد تجلى هذا الاهتمام بشكلٍ واضحٍ عندما عُقد أول مؤتمر للمستشرقين بباريس في عام 1873م.

ومن المهم أن نلتفت إلى كون النظرة الإستشراقية قد نشأت وتطورت وسط خضم الأحداث السياسية الصدامية التي ربطت ما بين الشرق الإسلامي من جهةٍ، والغرب الأوربي المسيحي من جهةٍ أخرى.

فالإسلام الذي انتشر بسرعةٍ كبيرةٍ في كثيرٍ من أملاك الإمبراطورية البيزنطية المسيحية في مصر والشام وغيرها من المناطق، قد استطاع أن يثبت نفسه كندٍّ أيديولوجيّ للقوى المسيحية القديمة، وهو الأمر الذي جعل منه (مصدرَ استفزازٍ حقيقيّ) دائم ومستمر للآخر الأوربي.

ومما زاد من تلك الروح (النِّدّية) – والتي تحولت فيما بعد إلى روح عدائية -أن الإسلام قد طرح نفسه كبديلٍ ثقافيّ وحضاريّ، ولم يكتفِ بالانتصارات العسكرية السريعة والمذهلة، التي حققتها الجيوش الإسلامية في القرن السابع الميلادي.

ولذلك، فقد تأثرت النظرة الإستشراقية الأوربية كثيرًا بما كان يتواتر في العقلية الجمعية الغربية من حضورٍ قوي لصورة (المحارب المسلم الذي اعتاد أن يحمل السيف في يمينه والقرآن في يساره).

تأثر المستشرقون -إذن-بتلك الصور الذهنية منذ البداية، فكان محور العملية الإستشراقية هو توصيف الشرق المسلم بالمعايير والمقاييس الغربية. وكان نتيجة ذلك أن غابت الموضوعية والحيادية عن معظم النصوص الإستشراقية؛ فقد نشأت لدى المستشرق الأوربي مركبات العظمة من كونه ذاتًا لدارسة الآخر غير الأوربي، الذي أضحى مجرد موضوعًا للدراسة والنقد.

ظهر ذلك بوضوحٍ في سيرة المستشرقين، على اختلاف توجهاتهم، وتنوع مجالاتهم البحثية، ويحاول إدوارد سعيد أن يشرح ذلك الوضع بقوله: "حين كان المستشرق المتبحر في العلم يتنقل في البلد الذي تخصص فيه، لم تكنْ تفارق ذهنه مطلقًا تلك الأقوال المأثورة المجردة التي لا تتزعزع عن الحضارة التي درسها، ونادرًا ما كان المستشرقون يهتمون بشيءٍ سوى إثبات صحة تلك الحقائق البالية".

ويؤكد المؤرخ الإنجليزي تيموثي ميتشل في كتابه استعمار مصر أن هناك ميلًا قويًّا (للفرجة والمشاهدة)، كان يسيطر بشكلٍ دائمٍ على المستشرقين الغربيين في أثناء عملهم البحثي بالبلاد الشرقية الإسلامية. وهو الأمر الذي من الممكن أن نفسره بالمنهجية الإستشراقية التقليدية السائدة، والتي كانت تلجأ إلى نزعة من التنميط والتشيّؤ (Reification)، فيما يخص توصيف المجتمعات العربية والإسلامية، حتى ولو تطلب ذلك اللجوء إلى ليّ عنق النصوص والحقائق والوقائع الثابتة التي لا سبيل إلى إنكارها.

وكان من الطبيعي، والحال كذلك، أن يحدث ارتباطٌ ما بين العلوم الإستشراقية من جهةٍ، والتوسعات الغربية الإمبريالية من جهةٍ أخرى.

فقد وجد السياسيون الأوربيون في المستشرقين أداةً مهمةً ووسيلةً فعالة في فَهم الآخر الإسلامي، الذي تُمثل أرضه وأقاليمه الواسعة ميادينَ رئيسةً للتوسع الإمبريالي الأوربي بداية من القرن التاسع عشر الميلادي. وفي الوقت ذاته، استفاد المستشرقون كثيرًا من الإمكانيات المادية والتسهيلات البحثية التي وفرها لهم رجال السياسة فيما يخص دراساتهم الإستشراقية.

كانت الفائدة والمصلحة متبادلة ما بين الجانبين إذن، ومع الوقت زادت الرابطة بينهما وتمت تقويتها، حتى أصبح الاعتماد على المستشرقين وأبحاثهم من ركائز السياسة التوسعية الغربية؛ (فقد بلغ من توطيد مكانة الاستشراق أن أحدًا لم يكنْ يُقدم على الكتابة أو التفكير أو اتخاذ أي إجراءٍ بصدد الشرق من دون أن يأخذ في حسبانه القيود التي يفرضها الاستشراق على الفكر والعمل). ولا بد أن نلاحظ هنا أن فكرة الاعتماد على الأبحاث الإستشراقيةفيما يخص السياسة الأوربية تجاه البلاد الإسلامية، قد جاءت متسقةً مع السياق الحضاري التطوري في الغرب، الذي سادت فيه فكرة التخصص بشكلٍ لافت للنظر، خصوصًا بعد حدوث الثورة الصناعية الكبرى في أوربا وما تبعها من تطورٍ في مناهج البحث.

ويؤكد إدوارد سعيد على البُعد السياسي-الاقتصادي-المادي الذي لازَم تطور العلوم الإستشراقية في أوربا، بقوله: "وليس الاستشراق إذن خيالًا أوربيًّا متوهمًا عن الشرق، بل إنه كيانٌ له وجوده النظري والعملي، وقد أنشأه مَن أنشأه، واستُثمرت فيه استثمارات مادية كبيرة على مر أجيال عديدة، وقد أدى استمرار الاستثمار إلى أن أصبح الاستشراق، باعتباره مذهبًا معرفيًّا عن الشرق، شبكةً مقبولةً، تسمح منافذها بتسريب صورة الشرق إلى وعي الغربيين، مثلما أدى تكاثر ذلك الاستمرار نفسه، بل وتحوله إلى مصدرٍ حقيقي للإنتاج والكسب، إلى تكاثر الأقوال والأفكار التي تتسرب من الاستشراق إلى الثقافة العامة"



وقد ساعد كثيرٌ من الدراسات والأبحاث الإستشراقية، التي أعدها عددٌ من كبار العلماء والمستشرقين الأوربيين، من أمثال سلفستر دي ساسي، وأرنست رينان، وإدوارد وليام لين، في تطويع الاستشراق؛ ليصبح أداةً منسجمةً ومتسقةً مع المصالح والاهتمامات السياسية للحكام الإمبرياليين في فرنسا وبريطانيا خلال مرحلة التوسع الاستعماري في القرن التاسع عشر الميلادي. كما أن تلك الدراسات، وما لحق بها من

أبحاثٍ حديثة قد ساعدت بشكلٍ قويّ في تحقيق أهداف الإمبراطورية الأمريكية التوسعية بعد ذلك.

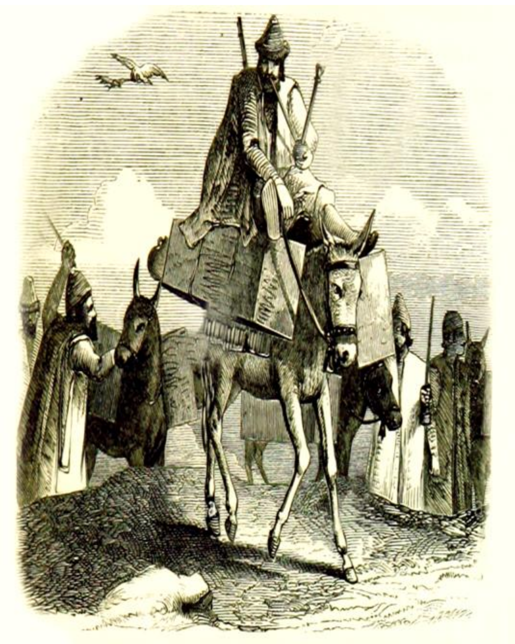
وقد عُرف المستشرقون بتطرقهم لعددٍ من المجالات والميادين البحثية المهمة المتعلقة بالحضارة الإسلامية والدين الإسلامي، على أن الجهود الإستشراقية لم تتوقفْ عند حدود تلك المجالات السابقة وحدها، بل إنّه وكما يورد مصطفى السباعي في كتابه الاستشراق والمستشرقون، أن المستشرقين سرعان ما (تناولوا جميع ديانات الشرق، وعاداته، وحضاراته، وجغرافيته، وتقاليده، وأشهر لغاته).

وقد عُرف المستشرقون بغزارة نتاجهم العلمي، وبكثرة تحقيقاتهم للكتب والمؤلفات التراثية الإسلامية، إلى الحد الذي جعلهم يتفوقون -من ناحية الكم -على المحققين والباحثين المسلمين المعنيّين بدراسة التراث الإسلامي، واستمر ذلك التفوق الاستشراقي حتى مطلع الستينيات من القرن العشرين.

ومن المهم أن نشير إلى أنه، ورغم كون الاستشراق قد اتسم بشكلٍ رئيسٍ بمعاداته وعدائيته للإسلام والمسلمين، فإن هناك العديد من المستشرقين الذين قدموا خدماتٍ جليلةً وموضوعية فيما يخص البحث العلمي المتعلق بالتراث الإسلامي.

ولهذا، يفرق إدوارد سعيد بشكلٍ واضحٍ بين مَنْ يصفهم بـ (المستشرقين من دارسي العلوم الإنسانية) من جهةٍ، وأمثالهم ممَّن ينصبّ عملهم بصورةٍ أساسيةٍ على العمل السياسي، والذين قد تتعرض بعض دراستهم للسياسة بشكلٍ عارضٍ وغير مباشر من جهةٍ أخرى.

وقد اتفق كثيرٌ من العلماء والمفكرين المسلمين على تقدير جهود هؤلاء المستشرقين ممَّن ينتمون إلى التصنيف الأول؛ فالمفكر الجزائري الكبير مالك بن نبي يتحدث عن نتاج بعض المستشرقين قائلًا: "لا يجوز نكران قيمته العلمية، بل نراه أحيانًا يستحق كلَّ التقدير؛ لِمَا يتسم بطابعٍ أخلاقيّ ممتاز، لا يمكن نكرانه".



أما المفكر الهندي أبو الحسن الندويّ، فيصرح باحترامه وتقديره لذلك الصِّنف من المستشرقين المحايدين الموضوعيين، فيقول: "أعترف بكلِّ وضوحٍ وصراحةٍ أن عددًا من المستشرقين كرسوا حياتَهم وطاقاتِهم على دراسة العلوم الإسلامية، وتبنوا موضوع الشرقيات والإسلاميات بدون تأثير عوامل سياسية أو اقتصادية أو دينية، بل لمجرد ذوقهم وشغفهم بالعلم، وبذلوا فيه جهودًا ضخمة، ويكون من المكابرة والتقصير أن لا ينطلق اللسانُ بمدحها والثناء عليها، وبفضل جهودهم برز كثيرٌ من نوادر العلم والمعارف، التي لم ترَ ضوءَ الشمس منذ قرونٍ، إلى النشر والإذاعة، وأصبحت مصونةً من الورثة الجاهلين، وعاهة الأَرَضة، وكم من مصادرَ علميةٍ ووثائقَ تاريخيةٍ، لها مكانتها وقيمتها، صدرت لأوّل مرّةٍ بفضل جهودهم وهمتهم، وقرّت بها عيونُ العلماء في الشرق".



عنوان المقال

مقال: أ.د. عماد عبد الرزاق

سؤال الهوية في فكر طه حسين

يمثل طه حسين علامة فارقة و بارزة في تاريخ الأدب العربي، ومفكر تنويري حمل مشعل الثقافة و التنوير،وحركت أفكاره المياه الراكدة في نهر الثقافة المصرية و العربية.فقد كان صاحب رؤى ثقافية عميقة في العديد من القضايا ولعل أبرزها قضية الهوية المصرية ،ولقد اضاءات مؤلفاته ملامح المشهد الثقافي المصري حتى اليوم وتألقت عناوين مؤلفاته مثل مراه الضمير الحديث،تقليد وتجديد،ومستقبل الثقافة في مصر والذي يعتبر أهم كتبه التي عرض فيها بجرأة كبيرة قضية من أهم القضايا الشائكة التي شغلت أذهان المفكرين على مر العصور و هي قضية الهوية الثقافية المصرية ،وطرح سؤالا في غاية الأهمية من نحن؟ وبمعنى آخر من هو المصري؟ ويجب أن نلفت الانتباه إلى أن طه حسين قد استخدم كلمتي (العقل المصري) كناية عن المصري عموما ،فعبر الأخذ بعين الاعتبار العقل الشرقي و العقل الغربي ،يتساءل طه حسين عما إذا كان العقل المصري شرقي التصور ؟ أم هو غربي التصور؟ وكان قبل ذلك قد تساءل كذلك أمصر من الشرق أم من الغرب؟ ويجيبنا عن هذا بالعودة إلى التاريخ المصري ،ليعلن أنه لم يكن بينه وبين الشرق البعيد المتصل بالصين و اليابان والهند صلات



مستمرة ،ومنظمة من شأنها أن تؤثر في تفكيرها .

أما الشرق الذي يتأثر به التاريخ المصري فهو من وجهة نظره ذلك الذي تندرج فيه أمثال البلدان القريبة إلى مصر مثل فلسطين و الشام و العراق.وحين يصل طه حسين إلى التاريخ الإسلامي يعلن ان مصر كانت من اسبق الدول الإسلامية إلى استرجاع شخصيتها القديمة التي لم تنسها يوما من الأيام والتاريخ يحدثنا بأنها قاومت الفرس والمقدونيين والرومان الغربيين و الشرقيين، إلى أن اخذ بوجهها الحكم العربي،فهي لم تفق على ترحيب به أو على حياد منه بل أن هذا العهد لم يبرأ من السخط. وهي كذلك لم تهدا ولم تطمئن إلا حين أخذت تسترد شخصيتها المستقلة في عهد احمد ابن طولون. و يخلص طه حسين الى نتيجة مفاداتها انه بقدر ما أخفقت المسيحية في عهود العقل الأوروبي و لم تخرجه عن يونانيته الموروثة ،فأنه يجب أن يصح أن الإسلام لم يغير العقل المصري. وهنا لا اتفق مع طه حسين في تلك المقولة لأن الإسلام و الفتح العربي لمصر أثر في العقل المصري و الشخصية المصرية،ولا احد يستطيع إنكار ذلك.وبناء على تلك النتيجة يرى طه حسين أننا يجب أن نضع مركز الثقل في قضية الهوية المصرية في مصر القديمة الخالدة الفرعونية . وإذا أردنا أن نفهم موقف طه حسين من قضية الهوية المصرية يجب أن نشير إلى ما يأتي:



الهوية الثقافية لمصر والعودة إلى تاريخ العقل المصري القديم(الفرعونى): في البداية حاول طه حسين أن يضع خارطة طريق لمستقبل الثقافة في مصر و بعد أن انتهى من إظهار قوة الثقافة و دورها المحوري في المجتمع قام بالتمييز بين ثقافتين: ثقافة الشرق و ثقافة الغرب و يظهر هذا من خلال مقولته الشهيرة أمصر من الشرق أم من الغرب؟ وهو لا يريد كما يقول الشرق الجغرافي و الغرب الجغرافي و إنما الشرق الثقافي و الغرب الثقافي.

ويدعو طه حسين في هذا السياق للاهتمام بالبعد البحر متوسطي في التكوين الثقافي المصري وحث على تعزيز التواصل مع الشمال و الغرب ،ويجب ان نلفت الانتباه هنا أن طه حسين لم ينطلق في هذا الموقف من أي عداء للعروبة وإنما قصد الأخذ بأسباب التقدم و عوامل القوة الشاملة.وكان لديه من الثقة بعراقة و ثراء الهوية المصرية و العربية ما يحول دون الخوف من التواصل مع الآخر لفقد هويتنا.

الحضارة اليونانية و مشروعية الثقافة الغربية لمصر لقد ربط طه حسين بين الحضارة اليونانية و نمط التفكير المصري القديم ،وهذا لم يكن اعتباطا او خبط عشواء ،لأن الهدف من هذا الربط هو إعطاء المشروعية لدعواه وهي

انتماء مصر ثقافيا و فكريا إلى الغرب،وأكد على وجود تلك الصلات بين مصر و الثقافة اليونانية بقوله:(من إضاعة الوقت و إنفاق الجهد من غير طائل ان نفصل ما كان من العلاقات بين مصر و الحضارة اليونانية في عصر ازدهارها)

ويعتبر طه حسين تلك العلاقة التي تربط بين مصر و اليونان مسلمة من المسلمات بمعنى أنها مثبتة مسبقا و لاشك فيها.من هنا نرى أن الهوية الثقافية لمصر ليست شرقية كما هو شائع بل ثقافة غربية،بدأها العقل المصري والعقل اليوناني في العصور القديمة،وكان بينهم تعاون و توافق و تبادل مستمر للمنافع في الفن و السياسة و الاقتصاد.وفي هذا السياق يشير طه حسين إلى أن الأوروبي مثالا متحضرا ينبغي السير على خطاه، ويدعو مباشرة إلى الانسياق نحو الحداثة الأوروبية بوصفها بأفضل ما أنتجت البشرية طالبا أن نسير سير الأوروبيين ،ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا،ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها و شرها ،حلوها و مرها. ومن هنا يرى أننا إذا أردنا الاستقلال العقلي و النفسي الذي لا يكون إلا بالاستقلال العلمي و الأدبي ،فنحن نريد وسائله بالطبع ووسائله أن نتعلم كما يتعلم الأوروبي ،ونشعر كما يشعر الاوروبي

<u>نقد الهوية عند طه حسين :</u> يجب ان نشير هنا إلى أن طه حسين لم يراع شروط البحث العلمي في بحثه عن الهوية الثقافية المصرية ،وأنه امن بالنتيجة قبل ان ينظر في الأسباب ،ولهذا جاءت محاولات الصاقه لمصر في العالم الغربي محاولات مفتعلة أشبه بالتبرير لا بالتحليل. فقد انتقى الكثير من الوقائع ليدلل على وجهة نظره متجاهلا غيرها مع أن غيرها أقرب و أقوى ،فمثلا حينما قارن بين الاحتلالين الفارسي و اليوناني ،مؤكدا أن مصر لفظت الفرس و انسجمت مع اليونان و تجاهل أن مصر قد انسجمت مع الفتح العربي ،وصارت أهم حاضرة من حواضر الخلافة.

<u>خلاصة القول</u> أن طه حسين قد اعتمد في تشخيصه لقضية الهوية الثقافية المصرية عن طريق التدرج إذ انطلق أولا من الحديث عن الموضوع نفسه وهي الثقافة بإظهار قيمها الناتجة عن نتائجها الايجابية داخل المجتمع ،كما أوضح أن الهوية المصرية فرعونية في التاريخ القديم و لا يجب أن ننسى ذلك،وإذا نسينا ذلك فيجب أن نهدم أبو الهول و الأهرامات و تلك الآثار الشاهدة على فرعونية الهوية المصرية القديمة. و في العصر الحديث يجب أن نتبع الحضارة الغربية في كل شي في المأكل و الملبس و المشرب. و أن نسير وراء الأوروبيين و نتبع سبيلهم إذا أردنا التقدم و الرقي الحضاري. إذا حاول طه حسين في مشروعه الفكري عن الهوية المصرية ان يحصرها و يختزلها في الهوية الفرعونية و التمسك بالحضارة الغربية و السير على نهج الغرب في كل شئ حتى المأكل و الملبس و اخذ العادات والتقاليد الأوربية و غرسها في البيئة المصرية ،وهذا ما عرضه لانتقادات كثيرة من جانب النقاد. لانه حاول إصباغ البيئة المصرية بالصبغة الغربية.

عنوان المقال

مقال: د.عادل المراغي

الإنصاف.. والكبريت الأحمر



ليس بأحد معصوماً من البشر إلا الأنبياء وما من أحد إلا له حسنات وله سيئات،له إيجابيات كما أن له سلبيات، والكامل من بني البشر من غلبت حسناته علي سيئاته.

وَمَن ذا الَّذي تُرضى سَجاياهُ كُلُّها
كَفى المَرءَ نُبلاً أَن تُعَدَّ مَعايِبُهُ

والإنصاف صار عملة نادرة بين الناس،فقلما نجد شخصاً أبغض شخصاً أو خالفه في الرأي نظر في حسناته ،ولقدأرشدنا النبي صلى الله عليه وسلم إلي هذه الخلق في إمساك الزوجة إن كرهها الزوج



عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا يَفرَكْ مؤمن مؤمنة، إن كره منها خُلقًا رضي منها خلقا أخر)
رواه مسلم.
ومعني يفرك أي يبغض ،وهذا غاية الإنصاف فالكمال لله وحده

ومن لا يغمّض عينهُ عن صديقهِ وعنْ بعضِ ما فيه يَمتْ وهوَ عاتِبُ
ومن يتتبّع جاهداً كلّ عثْرَة يجدْها
ولا يسلم له الدّهرَ صاحبُ

و الإنصاف هو العدل في المعاملة والنظر إلى الإيجابيات وإلي نصف الكوب المملوءة عند الشخص وأن يحب للشخص كما يحب لنفسه.
والإنصاف والعدل توءمان بهما قامت السموات والأرض،وعلي أساسهما قامت الحضارات وازدهر العمران وارتفع البنيان، ومن معاني الإنصاف أن تؤدي حقوق الناس وألا تطالبهم بما ليس لك وألا تحملهم فوق طاقتهم وأن تعاملهم بما تحب أن يعاملوك به،وأن تقدم حسن الظن بهم ،وأن تلتمس لهم الأعذار.

ومن أعجب الناس من يلتمس لنفسه العذر في كل شيء ولا يجد لغيره العذر في أي شيء.

فأعقل الناس أعذرهم للناس.

ولقد أنصف القرآن الكريم يهودياً علي مسلم سرق درعاً فإتهم اليهودي وشن القرآن الكريم غارة هوجاء في تسع آيات في سورة النساء علي هذه المسلم المنافق ،قال تعالي:(إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا(

فالإسلام ما جاء ليتستر علي انحرافات أتباعه أو يتسامح معهم في مخالفاتهم وظلمهم لغيرهم،وهذا درس عظيم في الإنصاف مع المخالفين في العقيدة أو المذهب أو الرأي.

ومن مظاهر إنصاف القرآن الكريم مع اليهود أنه أثني علي طائفة منهم ومدحهم مدحا بلغ ذروة شاهقة من الرضا والاحترام، قال تعالي) :وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (سورة الأعراف
وقال جعل شأنه (ليسوا سواء) سورة آل عمران.
والقرآن الكريم أعطي كل ذي حق حقه وكل ذي باطل ما يستحقه ولما ألف علماؤنا في علم الجرح والتعديل أقاموا هذا العلم علي ميزان العدل وكفة الإنصاف ولم يكن الغرض من ذلك التشفي والانتقام،والانتصار للنفس بل قصدوا من ذلك إقامة عمود الدين وحفظ بيضته وكان غرضهم القيل لا القائل فهم يختلفون مع القول لا مع القائل،وبنبوا هذا العلم علي قاعدة التثبت والتبين كما قال الحسن البصري رحمه الله:-
(المؤمن وقاف حتي يتبين (كما أقاموا هذا العلم علي مبدأ حمل الكلام علي أحسن الوجوه
فالكلام حمال أوجه



يقول ابن الرومي:-
في زخرف القول تزيين لباطله
والحق قد يعتريه سوء تعبير
تقول هذا مجاج النحل تمدحه
وإن ذممت تقل قيء الزنابير

ومن الإنصاف الذي يزرع الود في القلوب ويسوق الحب إلي الأرض الجرز ألا ننشر سيئات المخالف وندفن حسناته ،فبعض الناس كالذباب لا يقع إلا علي الجروح والقروح
وفيهم يقول القائل:

إن يسمعوا سبة طاروا بها فرحا
مني ومايسمعوا من صالح دفنوا

يقول ابن تيمية: (ان بعض الناس لا تراه إلا منتقداً دائماً ينسى الحسنات ولا يذكر إلا السيئات،فهو مثل الذباب يترك موضع البرء والسلامة ويقع على الجرح والأذى،وهذا من رداءة النفوس وفساد المزاج)

ومن أروع صور الإنصاف من النبي صلى الله عليه وسلم أنه أنصف حاطب بن أبي بلتعه لما خان الله ورسوله صلوات ربي وسلامه عليه (فقال عمر دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال إنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله

اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فأنزل الله عز وجل(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء)
وخاطبه الله تعالي بخطاب المؤمنين لأن سيئاته ذابت في بحر حسناته وهذا غاية الإنصاف.
ومن الإنصاف أن ألا ننقب في نوايا الناس وألا نفتش في صدروهم وألا تنبش فيما خفي من ظاهر قولهم وألا نحكم علي الناس بظواهرهم ،دع الخلق للخالق فإلي الله إيابهم وعلي الله حسابهم.

ولقد انتشر الإسلام في جزر الملايو وجنوب شرقي آسيا بسبب الإنصاف والعدل الذي أقامه الصوفية والتجار عملا بقول النبي صلى الله عليه وسلم (ألا من ظلم معاهَدَاً، أو انتقصه حقه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة) رواه أبو داود



ومن صور الإنصاف ما ذكر عن عمرو بن العاص رضي الله عنه في شأن الروم رغم عدائه لهم (إنَّ فيهم لَخِصالًا أرْبَعًا: إنَّهُمْ لأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ، وأَسْرَعُهُمْ إفاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ، وأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ وخَيْرُهُمْ لِمِسْكِينٍ ويَتِيمٍ وضَعِيفٍ، وخامِسَةٌ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ: وأَمْنَعُهُمْ مِن ظُلْمِ المُلُوكِ.)رواه مسلم فلم يمنعه العداء للروم من ذكر حسناتهم وإيجابياتهم وهذا من روائع الإنصاف في الإسلام.

ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة لطلب ثمار خبير قدموا له رشوة فصاح فيهم (يا معشرَ اليهودِ أنتم أبغُض الناس إلي قتَلْتُمْ أنبياءَ اللهِ وكذَبْتُم على اللهِ عزَّ وجلَّ وليس يَحْمِلُنِي بُغْضِي إيَّاكُمْ على أنْ أَحِيفَ عليكم قَدْ خَرَصْتُ عشرينَ أَلْفَ وسقٍ من تمرٍ فإنْ شِئْتُمْ فلَكُمْ وإنْ أَبَيْتُمْ فَلِي فقالوا بِهَذَا قامَتِ السماواتُ والأرضُ) رواه أحمد

ومن أروع ما قرات عن الإنصاف لابن تيمية رحمه الله أنه أنصف الصوفيه واثني علي الجنيد وسماه بسيد الطائفه ولام علي بعضهم ، وقال- وهو يتحدّث عن الصّوفيّة وما أحدثوه من السّماع والرّقص وتمزيق الثّياب: «والّذين شهدوا هذا اللّغو متأوّلين من أهل الصّدق والإخلاص غمرت حسناتهم ما كان لهم من السّيّئات أو الخطأ في مواقع الاجتهاد، وهذا سبيل كلّ صالحي الأمّة.



عنوان المقال

مقال: الباحث عصام جمعة

النشوز بين الزوجين وكيف عالجه التشريع الاسلامي

عالج الشرع الحنيف بوادر الخلاف بين الزوجين بداية من حصول النفرة أو الكره وقد تحدثنا في العدد السابق عن الكره وكيف عالجه التشريع الإسلامي ، فقد يكون فى طباع المرأة ما يكره أو فى تصرفاتها ما يعاب، ولكن التشريع طلب من الرجل أن يصبر على ما يكره منها ، فقال سبحانه {..فإن كرهتموهن فعسي أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا}(النساء 19) قال الجصاص فى احكام القرآن {وذلك يدل على أنه مندوب الي امساكها مع كراهته لها، وأخبر الله تعالي أن الخيرة ربما كانت لنا في الصبر علي ما نكره} (1) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم {لا يفرك مؤمن مؤمنة ان كره منها خلقا رضي منها آخر} (2) والآية والحديث يوضحان أن الإسلام يضيق علي الرجل مسالك الطلاق حتي فيما يكره من أخلاق زوجته ، فاذا استمر الكره وزاد الخلاف تحول الي النشوز وهي المرحلة الثانية التي تأتي بعد الكرة وهي حالة من النفور تعتري الزوج أو الزوجة

أولا: تعريف النشوز

1- النشوز لغة: أصله الارتفاع، قال ابن فارس [النون والشين والزاء أصل صحيح يدل على ارتفاع وعلو، والنشزُ المكان العالي المرتفع والنشزُ والنُّشوزُ الارتفاع].

وقال ابن منظور [النَّشْزُ والنشَزُ المتن المرتفع من الأرض، ونشز الشيء ينشزُ نشوزًا، ارتفع ودابة نشيزه إذا لم يكد يستقرُ الراكب والرَّجُ على ظهرها]، فمن خلال ما ورد في المعاجم اللغوية، فإن النشوز معناه الأصلي [الارتفاع والعلو].

2- النشوز اصطلاحًا: يلتقي النشوز في المعنى الإصطلاحي مع المعنى اللغوي في تحقيق معنى العلو والارتفاع عن الأصل الذي يحب أن يكون عليه الزوجان، وردت عدة تعريفات للنشور منها تعريف: الراغب الأصفاني [ونشوز المرأة بُغضها لزوجها ورفع نفسها عن طاعته وعيُها عنه إلى غيره] .

- قال الدَّامغاني [والنشوز عصيان المرأة على زوجها، وإيتاء الرجل على زوجته غيرها من النساء].

- وقال ابن تيمية في تعريف نشوز المرأة {هو أن تنشز عن زوجها فتنفر عنه ، بحيث لا تطيعُه إذا دعاها للفراش ، أو تخرج من منزله بغير إذنه، ونحو ذلك مما فيه امتناع عما يجبُ عليها من طاعته}.

- ومن خلال ما سبق يمكن أن تستخلص تعريفًا لظاهرة النشوز دون الخوض في التفاصيل لكثرتها {النشوز ارتفاع الشريك في الحياة الزوجية عما أوجب الله عليه في حق شريكه}، وهذا التعريف ينطبق على الزوج والزوجة و يبين حقيقة النشوز وأنه الارتفاع عن الواجبات.

ثانيا: صور النشوز وهي كثيرة ومتعددة

وأهم هذه الصور من نشوز الزوجة:-

- الخروج عن طاعة الله في الواجبات الشرعية.
- إظهار الاستخفاف بالزوج أو سبّه وشتمه.
- منعه من الجماع والمباشرة بدون عذر مشروع.
- السفر بدون إذنه وكذلك العمل بدون إذنه.
- الخروج من البيت بدون إذنه.
- الامتناع عن السكن مع الزوج بدون عذر مشروع.
- الميل إلى رجل غيره.

وأهم صور النشوز من الزوج:

- إيذاء الزوجة بالضرب.

السب والشتم والإهانة.

- عدم النفقة عليها.
- الميل إلى غيرها وعدم العدل .

ثالثا: أسباب النشوز

ظاهرة النشوز لها أسباب نفسية واجتماعية متعددة، ومن هذه الأسباب التي ترجع إلى الزوجين.

- دفع ضريبة سوء الاختيار من جانب الطرفين.
- تدخل الأهل في الحياة الزوجية.
- عدم الاستمتاع الجنسي بين الزوجين.
- الغيرة الزائدة من الزوجين، وما ينجم عن ذلك من المراقبة وسوء الظن.
- صراع الضرائر وما يفتحه من محاولات النشوز.
- ميل الزوج إلى بعض نسائه لمالها أو صغر سنها أو حسن عشرتها .

رابعا: نشوز الزوجة وكيف عالجه التشريع الإسلامي

والنشوز حالة من النفور تعتري الزوج أو الزوجة، فإذا نشزت الزوجة غدت صعبة القياد على زوجها، وتنكرت لحقه وقد دعا التشريع الإسلامي عند ظهور بوادر النشوز من الزوجة إلى تفصيل جملة من الأساليب لإصلاح الحال وإعادة جو الحياة الزوجية إلى الاستقرار والعشرة الطيبة واتباع هذه الخطوات التي أرشد إليها القرآن كفيلة برأب الصدع ولم الشمل والحفاظ على رابطة الزوجية من خطر الانهيار والتصدع قال تعالى { الرجال قوامون علي النساء بما فضل الله بعضهم علي بعض وبما انفقوامن أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله والتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا } (النساء: 34، فقد أسند التشريع الإسلامي القوامة في الأسرة للزوج وهذه القوامة والدرجة ليست للتشريف وإنما هي للتكليف وهو القوامة والمسئولية والإتقان، وزيادة درجة الرجل، فبفعله وقوته وقدرته على الإنفاق، وبالدية، والميراث، والجهاد.

وبيّن الإسلام أن النساء أمام قوامة الرجال عليهن صنفان نساء صالحات مطيعات، ونساء عاصيات متمردات، فالنساء الصالحات مطيعات للأزواج، حافظات لأوامر الله، قائمات عليهن تفي حقوقه، بحفظ أنفسهن من الفاحشة وأموال أزواجهن عن التبذيروهن خير النساء.

وفي مسند أبي داود عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير النساء التي إذا نظرت إليها سرتك وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالها»، وقال صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه: «ألا أخبرك بخير ما يكنزه المرء، المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته».

وأما النساء الناشزات المتمردات المترفعات على أزواجهن اللواتي يتكبرن ويتعالين على طاعة الأزواج، فقد قال فيهن الله تعالى{ والتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن}(النساء: 34).

قال ابن عاشور: [مقصود منه الترتيب كما يقتضيه ترتيب ذكرها، مع ظهور أنه لا يراد الجمع بين الثلاثة].

وفي كلامه أن الزوج مأمور بأن يعالج ما طرأ على زوجته من النشوز بالموعظة والتذكير أولًا، فإن لم ينفع ذلك انتقل إلى الوسيلة الثانية وهي الهجر في المضجع، فإن استمرت على نشوزها ولم تقلع فله أن يلجأ إلى الضرب كوسيلة نهائية، وليس له أن يجمع أو يخلط بين الوعظ والهجر والضرب من مرحلة واحدة، بل عليه الترتيب كما نصت الآية.

وقال ابن العربي من أحسن ما سمعت في تفسير هذه الآية قول سعيد بن جبير، فقد قال: «يعظها، فإن هي قبلت وإلا هجرها، فإن هي قبلت وإلا ضربها، فإن هي قبلت وإلا بعث حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها، فينظران ممن الضرر وعند ذلك يكون الخلع».

1- الوعظ والإرشاد

والوعظ في اللغة معناه النصح والتذكير بالخير فيما يرق له القلب، وقد يكون فيه زجر مقترن بتخويف.

فعلى الزوج أن يعظها بالرفق واللين {فعظوهن} أي ذكروهن بما أوجب الله عليهن من حسن الصحبة وجميل العشرة والاعتراف بالدرجة التي له عليها، ويجب أن يكون في وعظه كيسًا فطنًا طويل الأناة، ينصح مرة ومرات على فترات متقاربة أو متباعدة على حسب الظروف، فإن ذلك جدير أن يلين من حدتها ويردها إلى سبيل الرشاد .

2- الهجر في المضجع

حين لا تجدي وسيلة الموعظة في الزوجة شيئًا، ينتقل الزوج إلى إجراء آخر فيه معنى العقوبة السلبية وهو الهجر في المضجع وذلك بعزل فراشه عن فراشها وترك معاشرتها لقوله تعالى:{ واهجروهن} من الهجران والبعد، والهجر في المضاجع هو أن يضاجعها ويوليها ظهره ولا يجامعها ويريها من نفسه تعاليا عليها واستغنائا عنها، وهو علاج شديد للمرأة مذل لكبريائها فإن أعز ما تملك المرأة وتدل به أنوثتها، وأقوى ما تغزو به الرجل هذا السلاح .

يقول سيد قطب رحمه الله «والمضجع موضع الإغراء والجاذبية، التي تبلغ فيها المرأة الناشز المتعالية قمة سلطانها، فإذا استطاع الرجل أن يقهر دوافعه تجاه هذا الإغراء، فقد أسقط من يد المرأة الناشز أمضى أسلحتها التي تعتز بها وكانت –في الغالب- أميل إلى التراجع والملاينة، أمام هذا الصمود من رجلها، وأمام بروز خاصية قوة الإرادة والشخصية فيه، في أحرج مواضعها».

ومن أوجه الحكمة في هذا الإجراء أن الزوج «إذا أعرض عن فراشها، فإن كانت محبة للزوج فذلك يشق عليها فترجع للصلاح، وإن كانت مبغضته فيظهر النشوز منها، فيتبين أن النشوز من قبلها».

وهذا الهجر عند العلماء غايته شهر كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسر إلي حفصة أمرًا فأفشته إلى عائشة رضي الله عنها وتظاهر عليه.

كما أن الهجر مقيد بترك المعاشرة فقط لا ترك الكلام معها مطلقًا، ويجب أن يسلم من البغي والعدوان، فهو يكون عند خلوتة بها، بحيث لا يشعر بذلك غيرهما، فلا يجوز هجر البيت، والهجر أمام الأولاد فهذا من العدوان، ولأن هذا يحول

وسيلة الهجر من وسيلة تربوية تصلح نفسية الزوجة الناشز إلي وسيلة انتقام وتشهير، تحمل نفسية الزوجة على التصعيد بدل الإنابة والرجوع .

3- الضرب

وتأتي العقوبة الإيجابية إذا لم ينجح الرجل في ارجاعها عن نشوزها بوسيلتي النصح والهجر ، لم يبقي أمامه إلا أن يضربها ضربًا رقيقًا غير مبرح لقوله تعالى:{واضربوهن} والضرب هنا على وجه التأديب للزوجة لا يكسر عظيما ولا يشين جارحة، قال القرطبي: «والضرب في هذه الآية هو ضرب الأدب غير المبرح، وهو الذي لا يكسر عظما، ولا يشين جارحة، كالكزة ونحوها، فإن المقصود منه الصلاح لا غير» .

وقال العلماء ينبغي ألا يوالي الضرب في محل واحد، وأن يتقي الوجه فإنه يجمع المحاسن، وألا يضربها بسوط ولا عصا، وأن يراعي التخفيف في هذا التأنيب على أبلغ الوجوه، فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما حق امرأة أحدنا عليه؟ فقال: «أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه، ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت»، وقال عطاء: قلت لابن عباس: ما الضرب غير المبرح؟ قال: «بالسواك ونحوه».

وقد بينت الآية أن على الزوج التوقف عن تلك الوسائل بمجرد لين الزوجة، وتحقق طاعتها ولا يجوز له البغي والعدوان، والمقصد من تشريع هذا المنهج المتكامل المتدرج لعلاج النشوز هو الوقاية أساسًا، وليس الإهانة ولا الإجحاف بحق المرأة. وخاصة أنه لا يحتاج إليه إلا مع بعض النساء ممن فارقن الأصل الذي هو القنوت وحسن الصحبة، ولا يطبق إلا بتدرج، وحين تحصل الاستجابة بوسيلة لا يجوز الانتقال إلى التي بعدها فهو تشريع حكيم يرعى رابطة الزوجية أتم رعاية ويحفظ مع ذلك كرامة المرأة.

وهذا التوجيه يسد الباب أمام محاولات اتهام الإسلام بإهانة المرأة، وزعم بعض أعداء الإسلام بأن الضرب اعتداء وإهدار الكرامة المرأة، ولكننا نقول لهم: نعم لقد سمح الإسلام بضرب المرأة ولكني متي يكون هذا الضرب، ولمن يكون وكيف؟ إن هذا الأمر علاج، والعلاج إنما يحتاج إليه عند الضرورة، والضرورة تقدر بقدرها، والضرب هو آخر الأدوية ، وكما يقال [آخر الدواء الكي] جاء بعد الأمر بالصبر والأناه ثم الوعظ والإرشاد ثم الهجر عن المضاجع، فإذا لم تنفع كل هذه الوسائل كان الضرب غير المبرح بالسواك وما شابهه أقل ضررًا من إيقاع الطلاق عليها ، لآن الطلاق هدم لكيان الأسرة وتمزيق لشملها، فالضرب ليس إهانة للمرأة –كما يدّعون- وإنما هو طريق من طرق العلاج ينفع في بعض النفوس الشاذة المتمردة التي لا تفهم الحسنى .



تلك هي الوسائل التي يعالج بها الرجل نشوز زوجته وهي وسائل تستغرق من الوقت والجهد ما هو كفيل بتهدئة البواعث العارضة، وفتور الطارئ الدخيل فإذا أطاعته فلا هجر ولا ضرب، ولكنه إجمال وإحسان

ومن جمال التشريع الإسلامي في هذا المقام أنه لم يورد في هذه الحالة ذكر الطلاق، لا تصريحًا، ولا تلميحًا، بل طلب من الرجل أن يعتصم بحكمته ورجاحة عقله، وأمره أن يعظها أولا، فإذا لم ينفع الوعظ فالهجر، فإذا لم ينفع الهجر، فالضرب، ولم يقل الله سبحانه وتعالي بعد ذلك، فإن لم ينفع الضرب فطلقوهن بل قال{فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا} (النساء: 34) لأن تقديم احتمالات الوقاية أولي في ذوق المجتمع الرفيع.

خامسا: نشوز الزوج وكيف عالجه التشريع الإسلامي

ويأتي نشوز الزوج إذا خالف ما يقتضيه عقد الزوجية من التزامات وحقوق تجاه زوجته وعالج التشريع الإسلامي نشوز الرجل في قوله تعالى: { وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير }(النساء: 128).

ولهذه الآية مناسبة نزول: عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفضّل بعضنا على بعض في القسم من مكثه عندنا، وكان قل يوم إلا وهو يطوف علينا جميعًا فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ إلى التي هو يومها فيبيت عندها، ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنت وخشيت أن يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، يومي لعائشة، فقبل رسول الله منها، قالت عائشة نقول في ذلك أنزل الله تعالى وفي أشباهها [وإن امرأة خافت من بعلها نشوزًا].

وعن ابن عباس رضي الله عنها قال: خشيت سودة أن يطلقها النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: لا تطلقني وأمسكني واجعل يومي لعائشة، ففعل، فنزل قول الله تعالي{ فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير} (النساء: 128) .

فقد أشارت هذه المناسبة التي نزلت في جوها الآية إلى تفعيل المرأة التي لمست نشوزًا من زوجها أو إعراضًا لأساس مهم، وهو التنازل عن بعض حقوقها الحيوية التي يجب لها على زوجها صيانة منها لما هو أهم وأولى في نظرها وهو المحافظة على رباط الزوجية.

هذا المبدأ الحكيم الذي دعا ربنا إليه في الآية وطالب الزوجة تفعيله عند وجود النشوز أو الإعراض من الزوج في سبيل الإبقاء على خط الحياة الزوجية موصولًا بينها وبين زوجها، وبالتالي انقاذ الحياة الزوجية من انهيار وشيك

قال ابن كثير: «إذا خافت المرأة من زوجها أن ينفر عنها أو يعرض عنها، فلها أن تسقط عنه حقها أو بعضه من نفقة أو كسوة أو مبيت أو غير ذلك من الحقوق عليه وله أن يقبل ذلك منها، فلا جناح عليها في بذلها ذلك له ولا عليه في قبوله منها».

وقد يكون اقتراح هذا المخرج من الزوج، ولكن الغالب أن يكون من الزوجة لأن النشوز منه، فإذا تم الاتفاق كان ذلك خيرًا من الطلاق.

ويقول سيد قطب رحمه الله:{ فإذا خشيت المرأة أن تصبح مجفوة وأن تؤدي هذه الجفوة إلى الطلاق، أو الإعراض الذي يتركها كالمعلقة لا هي زوجة ولا هي مطلقة، فليس هناك حرج عليها، ولا على زوجها، أن تتنازل له عن شيء من فرائضها المالية، أو فرائضها الحيوية كأن تترك له جزءً أو كلًا من نفقتها الواجبة عليه، أو أن تترك له قسمتها وليلتها، إن كانت له زوجة أخرى يؤثرها، وكانت هي من فقدت حيويتها للعشرة الزوجية، أو جاذبيتها هذا كله إذا رأت هي بكامل اختيارها وتقديرها لجميع ظروفها أن ذلك خير لها وأكرم من طلاقها، والصلح خير، فينسم على القلوب التي دبت فيها الجفوة والجفاف نسمة من الندى والإيناس، والرغبة في إبقاء الصلة الزوجية والرابطة العائلية}، فهذا الإصلاح من المرأة على مافيه من التنازل يدل على حكمة المرأة، وهو احفظ للعشرة ورابطة الزوجية.

والإعراض أخف مظاهر النشوز وهو طريق إليه، ذلك أن النشوز «يمنعها نفسه ونفقته والمودة التي بينهما وأن يؤذيها بسب أو ضرب، والإعراض أن يقل محادثتها ومؤانستها، لطعن في سن أو دمامة أو شين في خلق أو خلقٍ، أو ملالٍ، أو طموح عين إلي آخرى أو غير ذلك وهو أخف النشوز» .

وقوله تعالى{بينهما} [ظرف ذكر تنبيهًا على أنه ينبغي أن لا يطلع الناس على ما يكون بينهما بل يسترانه عنهم] .

وهذه الفائدة تحمل الزوجين على الإبقاء على سرية هذه المصالحة قدر المستطاع، وهذا من حسن إدارة الخلافات الزوجية.

ولا ينبغي الاستسلام للنفس وشهواتها عند التنازل عن بعض الحقوق من أجل استبقاء الرابطة الزوجية، فإن النفس لو ترك الإنسان إليها القرار لرفضت هذا التنازل لما طُبعت عليه من الشح ولذلك أشارت الآية الكريمة في قوله تعالى:{وأحضرت الأنفس الشح} أي {جعلت حاضرة له، مطبوعة عليه، فلا تكاد المرأة تسمح بحقوقها من الرجل،

ولا الرجل يكاد يجود بالانفاق وحسن المعاشرة على التي لا يريدها}، وهذا الشح إن لم يعالجه العفو والسماحة بين الزوجين أفسد الحياة الزوجية.

الهوامش

(1) تفسير الجصاص ج3، ص 47

(2) رواه مسلم عن أبي هريرة

(3) ابن فارس،معجم مقاييس اللغة،ج(5) ،ص (430).

(4) ابن منظور، لسان العرب ،ج (6)،ص (4425-4426).

(5) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص (372)

(6) الحسين بن محمد الدامغاني، إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، ص457.

(7) ابن تيمية، الفتاوى، ج(32) ص(276).

(8) رعاية رابطة الزوجية من خلال القرآن، رشيد بوعافيه، ص(252-253).

(9) رعاية رابطة الزوجية، المرجع سابق ص254.

(10) الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة،البهي الخولي، ص105.

(11) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ،ص1738.

(12) ابن عاشور،التحرير والتنوير ، ج (5) ص(42).

(13) رعاية رابطة الزوجين ، ص256.

(14) أضواء على نظام الأسرة ،سعاد صالح، ص142.

(15) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص409.

(16) الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة ،مرجع سابق ،ص105.

(17) أضواء على نظام الأسرة، مرجع سابق، ص140.

(18) سيد قطب، في ظلال القرآن ، ج 2، ص (654).

(19) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ج 6، ص (284).

(20) رعاية رابطة الزوجية، مرجع سابق، ص(258).

(21) الجامع لأحكام القرآن ،مرجع سابق ، ج 6، ص285.

(22) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج 6، ص712.

(23) مها يوسف جارالله ، ص194.

(24) أضواء على نظام الأسرة ، ص(141)

(25) الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة ،ص106.

(26) رواه أبو داود ، وحسنه الألباني.

(27) رواه الترمذي، وصححه الألباني.

(28) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج(4)، ص298.

(29) سيد قطب، مرجع سابق، ج(2) ،ص769.

(30) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ، ج(3) ، ص379.

(31) الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، ج(4) ، ص(237).

(32) رعاية رابطة الزوجية ، ص(262).

(33) الألوسي، مرجعمرجع سابق ،ج4، ص(237).



عنوان المقال

مقال: د. علي حسن الروبي

حول دعوى محاباةِ الشريعةِ للسلطةِ الظالمةِ

من الشُّبه التي تتناقلها الأقلام العلمانية إما تصريحاً وإما تلميحاً أنّ الشريعة منحازةٌ إلى الحكام على حساب الشعوب، وأنها درعٌ للاستبداد والظلم بما جاءت من نصوصٍ محرضة على الانصياع للسلطة والتحذير من الخروج عليها.
والواقع أن الناظر في نصوص الشريعة ليجد جملةً منها تحضُّ على وجوب السمع والطاعة للحكام، كقوله تعالى:}وأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ{(النساء 59) ، وكقول النبي صلى الله عليه وسلم: " عَلَيْكَ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ".

وفي نصوصها كذلك ما يدعو للصبر على اعوجاج الحاكم والتحذير من الخروج عليه؛ كقوله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ النَّاسِ خَرَجَ مِنْ السُّلْطَانِ شِبْرًا فَمَاتَ عَلَيْهِ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً ".

وتلك النصوص المتعلقة بالسمع والطاعة ومنع الخروج على الحاكم، حتى وإنْ جارَ وظلمَ=كثيرةٌ؛ ولذا كان جمهور الفقهاء على عدم جواز الخروج المسلح على السلطة الظالمة إعمالاً للنصوص المتظاهرة في النهي عن ذلك.

وربما أعطت النظرة العجلى إلى تلك النصوص وما اختاره جمهور الفقهاء تصوراً مغلوطاً عند بعض الناس في هذه القضية؛ إما لنظرتهم القاصرة في فهم تلك النصوص أو لموقفهم العدائي نحو الشريعة مما يحملهم على سوء الظن بها.

والحق أن تلك التهمة للشريعة بمحاباة السلطة الظالمة وإيثارها على حقوق الشعب بسبب النصوص التي تدعو إلى طاعة الحاكم وترك الخروج عليه_ لتظهر متهافتةً إذا نظرنا في النصوص الأخرى التي تحمل الترهيب الشديد من الظلم بصورةٍ عامةٍ وتكشف عن المصير الأليم للظالمين والمعتدين على حقوق الضعفاء بأيِ نوعٍ من أنواع الاعتداء كأخذ المال أو الأذى البدني ونحو ذلك من أصناف الظلم، ولا ريب أن السلطة الظالمة داخلةٌ في ذلك الوعيد دخولاً أولياً ويشملها كل وعيدٍ عامٍ لعواقب الظلم والظالمين.

ليس هذا فحسب؛ بل إن الشريعة فيها كذلك من النصوص ما يحمل الوعيد الشديد بخصوص الحاكم الظالم والسلطة الفاسدة، وعددها ليس بأقل من تلك النصوص الداعية للصبر على جور السلطة، غير أنني أكتفي بذكر نصٍّ واحدٍ لتناوله بالوعيد سائر صور انحراف السلطة، لا من حيث الظلم فحسب، بل من حيث الفساد السلطوي وتضييع حقوق الرعية بأي لونٍ من ألوان التضييع، حتى ولو من باب ترك اختيار أصحاب الكفاءات للمناصب، وتقديم غير المستحقين عليهم، وهذا النص هو قوله صلى الله عليه وسلم: " مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً ، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ".

فالغِش ضد النصح، وهو يتحقق بأمور كثيرة كما يقول الصنعاني، فمنها: " بظلمه لهم بأخذ أموالهم وسفك دمائهم وانتهاك أعراضهم واحتجابه عن خلتهم وحاجتهم وحبسه عنهم ما جعله الله لهم من مال الله سبحانه المعين للمصارف، وترك تعريفهم بما يجب عليهم من أمر دينهم ودنياهم، وإهمال الحدود وردع أهل الفساد وإضاعة الجهاد وغير ذلك مما فيه مصالح العباد.ومن ذلك توليته لمن لا يحوطهم ولا يراقب أمر الله فيهم وتوليته من غيره أرضى لله عنه مع وجوده".

وقال ابن الملقن تعقيبا على الوعيد الذي يحمله الحديث: "هذا حديث عظيم، وفيه وعيد شديد على أئمة الجور، إلى أن قال: فمن ضيّع من استرعاه الله أمرهم، أو خانهم أو ظلمهم، فقد يوجه إليه الطلب بمظالم العباد يوم القيامة، فكيف يُقدم على التحلل من ظلمِ أمةٍ عظيمةٍ".

وأما فيما يتعلق بما جاءت به الشريعة من إيجاب السمع والطاعة للحاكم في غير معصية= فالحق أنها لم تُرِدْ بذلك محاباة السلطة وإخضاع الناس لها، بل إنما أرادتْ بذلك ما لا بد لكل اجتماعٍ إنساني منه، وهو الالتزام بالقانون العام وإلا ضربتْ الفوضى أركان ذلك المجتمع، وكان في العرب أَنَفةٌ من الخضوعِ للأمراء، فكان في نصوص الشريعة ما يحضهم على ترك تلك الخصلة التي لا يصلح معها بناء دولة ولا تأسيس حضارة أمة. قال الخطابي معلقاً على حديث:" وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي": "كانت قريش ومن يليهم من العرب لا يعرفون الإمارة ولا يُطيعون غير رؤساء قبائلهم فلما ولي في الإسلام الأمراء أنكرته نفوسهموامتنع بعضهم من الطاعة، وإنما قَالَ لهم - صلى الله عليه وسلم - هذا القول ليعلمهم أن طاعة الأمراء مربوطة بطاعته، وأن من عصاهم عصى أمره؛ ليطاوعوا الأمراء الذين كان يوليهم عليهم".

وغني عن البيان أن العقلاء في كل زمانٍ ومكانٍ مطبقون على أنه لا بد لكل مجتمع من سلطةٍ يخضع أفراده لها، أيّاً كان شكل السلطة.

ثم إنّ الشريعة حين حضّت وحثّت على الانصياع للسلطة الحاكمة لم تجعل ذلك الانصياع مطلقاً، بل قيدته بأن يكون نطاقه ما كان داخلاً تحت الوجوب أو الإباحة الشرعيين، أما ما كان داخلاً في باب التحريم والمعصية = فلا طاعة للسلطة فيه ولا سمع لها. وقد قال صلى الله عليه وسلم مشيراً إلى ذلك " لا طاعة لمخلوق في معصية اللهعزّ وجلّ" ، وقد جعل الفقهاء ذلك النص بمثابة القاعدة العامة التي يُرَدُّ إليها الكثير من الجزئيات عند الاشتباه والتعارض. ويوماً ما غضب أحد أمراء السرايا على أصحابه، وأمرهم أن يدخلوا في نارٍ أشعلها؛ محتجاً بأمر النبي -صلى الله عليه وسلم- لهم بطاعته، وقد همّ بعضهم في الدخول في تلك النار؛ تنفيذاً للعموم المفهوم من أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- بطاعة ذلك الأمير، قبل أن يسكن غضب الأمير ويتراجع عن طلبه ذاك. ولمّا أُخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن أولئك الذين همّوا بالدخول في النار= قال : " لو دخلوها ما خرجوا منها أبداً"، وهي جملةٌ تحمل في ثناياها من الترهيب ما تحمله، ثم قال النبي - صلى الله عليه وسلم- ما هو بمثابة القاعدة الحاكمة على العلاقة بين السلطة والرعية، وبين الإنسان وغيره ممن يمكن أن يكون لهم عليه أيَّ لون من ألوان السلطة: " إنما الطاعة في المعروف، لا طاعة لمخلوق في معصية الله".

وهذه القاعدة التي قعّدتها الشريعة" لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق" تدحض كل عذرٍ وحجة واهية يتعلق بها أي إنسانٍ يكون تُرْساً في عجلة أي سلطةٍ فاسدةٍ أو ظالمةٍ، متعللاً بأنه ينفذ الأوامر التي يمليها عليه منصبه ووظيفته أو أنه شخصٌ ضعيفٌ مسكينٌ لا طاقة له برفض الأوامر؛ فالمسؤولية الشخصية حاضرة هنا، ولا سبيل للتنصل من تحمُّل تبعات المشاركة في ظلمٍ أو فسادٍ.

وأما فيما يتعلق بنصوص الشريعة التي تنهى وتزجر عن الخروج المسلح على السلطة الظالمة أو الفاسدة، فليس ذلك لكرامة تلك السلطة في منظور الشريعة، ولا لحظوتها بمنزلة عُليا فيها، ولا لتمكينها من رقاب الشعب المقهور، وفتح الباب أمامها لممارسة مزيدٍ من الظلم والفساد آمنة من الانقلاب عليها. بل العلة في منع الخروج المسلح ما يؤدي إليه ذلك الخروج من الاقتتال الداخلي بين السلطة والخارجين، وهو صورةٌ من صورِ ما يُعرف اليوم بـ: "الحرب الأهلية"، وفي الحروب الأهلية والاقتتال الشعبي من الأضرار على الشعوب= أضعافُ ما يصيبها من السلطة الظالمة، يقول النووي مشيراً إلى ذلك: "قال العلماء وسبب عدم انعزاله وتحريم الخروج عليه ما يترتب على ذلك من الفتن وإراقة الدماء وفساد ذات البين فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقائه".

فالمعلوم والمشاهد من أحوال السلطة الفاسدة أو المستبدة في كل زمان ومكان= إحكام سيطرتها الأمنية على البلاد، مع وجود ولاءاتٍ لها من المنتفعين منها ومَن يتبعهم من الجماهير، وعدم تخليها عن السلطة بسهولةٍ؛ وكل ذلك يؤدي إلى الاقتتال بينها وبين الخارجين عليها، فيطول أمد الحرب، وقلّ أن تكون الهزيمة حليفاً للسلطة، لا سيما إنْ طال أمد الحرب. ولا ينكر عاقلٌ ما تدفعه الشعوب من أثمان باهظة في الحروب الأهلية، وهو – بلا ريب – أكثر كلفة مما تدفعه في ظل سلطة غاشمة.

لكن هل يعني ذلك أن الشريعة قد أمرت بالاستسلام التام للسلطة الظالمة المستبدة وأضفَتْ (شرعيّة) على ظلمها واستبدادها، فضلاً عن الأمر بمحبة تلك السلطة والمنافحة عنها وعن جرائمها، كما يروّج لذلك الكاذبون على الله وعلى رسوله- صلى الله عليه وسلم- وعلى الشريعة وفقهائها ؟!

الحق أن نصوص الشريعة قد حذّرت من مجرد الركون إلى السلطة الظالمة أو التزلف إليها، فضلا عن إعانتها على ظلمها، وليس هناك مزيدٌ عن الوعيد الذي جاء في قوله تعالى: }وَلاتَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ {(هود: الآية 113)، وهذه الآية كما يقول صاحب تفسير إرشاد العقل السليم : " أبلغُ ما يُتصور في النّهي عن الظلم والتهديدِ عليه".

وتُنبِّه بعضُ النصوص الشرعية على أن مجرد الرضا بظلم السلطة وفسادها= لَهَو لونٌ من ألوان العصيان وبابٌ من أبواب الإثم، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: "ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن كره برئ، ومن أنكر سلم. ولكن من رضي وتابع".

قال النووي: "معناه مَن كره بقلبه ولم يستطع إنكاراً بيده ولا لسانه= فقد برئ من الإثم وأدّى وظيفته، ومَن أنكر بحسب طاقته فقد سلم من هذه المعصية، ومَن رضي بفعلهم وتبعهم عليه فهو العاصي".

ومن ذلك أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم: " سَتَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ، مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ، فَصَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَلَيْسَ مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُ، وَلَيْسَ يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَهُوَ مِنِّي، وَأَنَا مِنْهُ، وَسَيَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ ".

ليس هذا فحسب، بل مع منع الشريعة للخروج المسلح المؤدي إلى الفتن وإراقة الدماء، نجدها لا تمنع الناس من الصدع بالحق والتصدي للظلَم وألا يؤخذُهم في ذلك لومةُ لائمٍ، بل تحضُّهم على ذلك. قال صلى الله عليه وسلم :" أَفْضَلُ الْجِهَادِ كلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ " .

وفي حديثٍ آخر يخبر صلى الله عليه وسلم بأنه سيأتي أمراء يحيدون عن المنهج القويم ثم أخبر عن حال الناس تجاه أولئك الحائدين، فقال:" فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْجَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ ".

وينقل ابن رجب الحنبلي تعليقاً على ذلك الحديث قول الإمام أحمد إن "التغيير باليد ليس بالسيف والسلاح" ثم يقول ابن رجب: " فحينئذٍ جهاد الأمراء باليد أن يزيلَ بيده ما فعلوه من المنكرات مثل أن يريقَ خمورهم أو يكسر آلات اللهو التي لهم أو نحو ذلك، أو يُبطل بيده ما أمروا به من الظلم إنْ كان له قدرةٌ على ذلك، وكل ذلك جائزٌ، وليس هو من باب قتالهم ولا من الخروج عليهم الذي ورد النهي عنه".

بقي أن يقال: إن كلام الفقهاء عن المنع من الخروج المسلح على السلطة الجائرة= ليس معناه أنهم يمنعون من تغيير تلك السلطة بوسيلة أخرى ليس فيها إحداث فتنة أو إراقة دماء، بل ينصون على لزوم ذلك إنْ أمكن بلا إيقاع مفسدةٍ أكبر من مفسدة وجود السلطة، وفي هذا يقول الداودي " الذي عليه العلماء في أمراء الجور أنه إن قُدِرَ على خلعه بغير فتنة ولا ظلم= وجب، وإلا فالواجب الصبر".

وقال الغزالي:"وَالْإِمَام لَا يَنْعَزِل بِالْفِسْقِ على الْأَصَح للْمصْلحَة وَلَكِن إِن أمكن الِاسْتِبْدَال بِهِمن غير فتْنَة فعله أهل الْحل وَالْعقد" .

وعن ابن عيينة: "لا يكون الظالم إمامًا قط، وكيف يجوز نصب الظالم للإمامة، والإمام إنما هو لكفِّ الظَّلَمَة، فإذا نُصب مَن كان ظالمًا في نفسه فقد جاء المثل السائر: من استرعى الذئبَ ظَلَمَ".

وقال ابن خويزمنداد: " وكل مَن كان ظالماً لم يكن نبياً ولا خليفةً ولا حاكماً ولا مفتياً، ولا إمامَ صلاة، ولا يُقبل عنه ما يرويه عن صاحب الشريعة، ولا تقبل شهادته في الأحكام، غير أنه لا يعزل بفسقه حتى يعزله أهل الحل والعقد"

والحاصل أن السلطة الظالمة في منظور الشريعة= ليست مُعظَّمة ولا مُكرَّمة ولا مُحصَّنة ولا مُقدَّسة، بل هي آثمةٌ متوعدةٌ بالعذاب الأُخروي هي وكل مَن تعاون معها أو نافحَ عنها، وعلى المجتمع المسلم السعي في تغييرها ما لم يكن ذلك التغيير يؤدي إلى عواقب سلبيةٍ وأضرارٍ على المجتمع أكبر من أضرار استمرار تلك السلطة.



عنوان المقال

مقال:
د. محمد الأمين طالب معمر

نبذة عن تاريخ نشأة الحياة

لموضوع نشأة الحياة تاريخ طويل و حافل، فالبشر منذ قديم الزمان، باعتبارهم مخلوقات عاقلة، تطرح تساؤلات وتبحث لها عن أجوبة، أحد أهم هذه التساؤلات هو أصل الكائنات الحية و كيف ظهرت للوجود؟

أول من تعرض لهذه الأسئلة وحاول الإجابة عنها هم الفلاسفة الإغريق وعلى رأسهم أرسطو (384 - 322 ق.م)، الذي طرح "نظرية التخليق الذاتي" والتي مفادها هو أن الحياة تظهر من المواد الغير حية التي تحتوي على "حرارة الحياة" او "Pneuma" و ساق في ذلك الأدلة، مثلا ظهور سمكة في مستنقع لم تكن متواجدة فيه. (1)

استمرت سيطرة هذه النظرية لوقت طويل و أصبحت حقيقة "علمية" لا تقبل الجدل لما يقارب الـ 2000 سنة!!! وتراكمت الأدلة عليها وسيقت أمثلة كثيرة عليها، مثلا، ظهور ضفادع من الوحل في الأنهار أو الفئران من القماش البالي!!! و استمر هذا الحال حتى القرن السابع عشر والثامن عشر ميلادي حيث قام الطبيب الإيطالي Francesco Redi (1697–1626)

والبيولوجي الايطالي (Lazzaro Spallanzani 1729–1799)

بالقيام بتجارب شككت في هذه "الحقيقة" وجعلتها محل جدل علمي، وأخذ ورد. (1)

الضربة القاضية لهذه النظرية جاءت علي يد العالم الفرنسي الشهير جدا "لويس باستور" في تجربته المشهورة عام 1858 (1). بعد هذا أصبحت فكرة ظهور كائنات من المادة غير حية غير مقبولة و تم استبدالها بنظرية التطور الدارويني التي ظهرت في عام 1859 مع نشر داروين لكتابه "أصل الأنواع" والتي مفادها أن الكائنات تظهر فقط من كائنات حية عبر ملايين السنين من التغيرات التراكمية الطفيفة تحت مبدأ الانتخاب الطبيعي. لكن نظرية داروين لم تحل الإشكال كلية، فهي لم تحل مشكل أصل أول حياة و التي انبثقت منها كل الكائنات الحية عبر التطور.

داروين وأتباعه، أمثال توماس هكسلي و إرنست هيجل، ادركوا الإشكال، لكنهم لم يدركوا عظمته لظنهم وقتها أن الحياة البدائية "ليست معقدة" و يمكن أن تظهر بسهولة عبر زيادة في التعقيد تدريجيا لو وجدت الشروط اللازمة لذلك (2)، و عللوا سبب عدم حدوث نفس الشيء الآن مع توفر الشروط اللازمة لذلك مثلا بأن هذه الحياة البدائية ستُأكل بسرعة من قبل الكائنات الحية اليوم و التي لم تكن موجودة قبل ظهور الحياة. فنجد داروين يقول في رده على رسالة من Joseph Dalton Hooker يسأله فيها عن "التخليق الذاتي وأصل الحياة": (3)

It is often said that all the conditions for the first production of a living organism are ″ now present, which could ever have been present.— But if (& oh what a big if) we could conceive in some warm little pond with all sorts of ammonia & phosphoric salts,—light, heat, electricity etc...present, that a protein compound was chemically formed, ready to undergo still more complex changes, at the present day such matter would be instantly devoured, or absorbed, which would not have been the case before living creatures were ″.formed

″ يقال في الكثير من الأحيان أن شروط ظهور أول كائن حي متوفرة الآن - التي يمكن أن تكون دائما متوفرة- لكن لو (و ياله من لو كبير) استطعنا تخيل بركة صغيرة حامية تحتوي على كل أنواع النشادر والاملاح الفسفورية، -الضوء، الحرارة، الكهرباء، أن مركب بروتيني قد تشكل كيميائيا وهو مستعد ليخضع لتغيرات أكثر تعقيدا، في الوقت الحالي مادة كهذه ستلتهم أو تمتص بسرعة كبيرة, و لكن ليس هذا هو الحال قبل تشكل الكائنات الحية″.

إذا نشأة الحياة وأصلها حتى مطلع القرن العشرين لم تكن مسألة تبدوا صعبة على الناس، لجهلهم بتعقيد الحياة الحقيقي! بل قضوا ما يقارب ال 2000 سنة يؤمنون أن الفئران تظهر من القمامة! فما بالك بخلية حية واحدة! والتي كان يظنها داروين وأتباعه مجرد هلام بسيط أو Protoplasm.

في مطلع القرن الـ 20 بعد أن بدأت بعض ملامح تعقيد الحياة,حتى تحت أبسط أشكالها, تتبين على المستوى المجهري و الكيميائي، أحس الماديون الطبعانيون بالحاجة إلى فرضية علمية لتفسير ظهورها.

فكرة أن الحياة تظهر أو ظهرت دفعة واحدة من المواد الغير حية أصبحت نظرة غير ″محبوبة″، خاصة من العلماء التطوريين الذين ارادوا تطبيق التطور على نشأة الحياة أيضا.

ظهرت أول فرضية - و أشهرها لحد الآن - لكيفية نشأة الحياة في عام 1929 علي يد العالمين Alexander Oparin و J.S.B Haldane

وأصبحت معروفة بفرضية ″الحساء البدائي″.

″ألكسندر أوبارين″ كان تطوريا عنيدا، ورفض فكرة تشكل الحياة دفعة واحدة. بل دافع على فكرة تشكل الحياة ببطء من المواد الكيميائية والتفاعلات الحادثة في الحساء البدائي، ودافع عن هذه الفكرة عبر ذكره لأدلة تتمثل في تجارب أنتجت فيها مواد عضوية معقدة من مواد لا عضوية أبسط، حيث أنه قبل القرن 19 كان يعتقد أن المواد العضوية لا تنتج إلا من الحياة. أوبارين ساهم بشكل كبير في تشكيل الافكار والفرضيات المعاصرة عبر فرضياته وكتاباته، و التي أثرت في الجيل القادم من الباحثين في هذا المجال. (4)

أهم المراحل في تاريخ مجال نشأة الحياة حدثت في القرن ال 20 و الـ 21، هذه المرحلة التي تشكل جزء صغير جدا من التاريخ الطويل لهذا المجال (حوالي 70 سنة فقط من 2000 سنة!) حدثت فيها أهم التطورات العلمية والتقنية و الفكرية التي شهدتها البشرية منذ بدأ الخليقة. لهذا سيكون النقاش فيها أطول و أكثر تفصيلاً.

العمل التجريبي في موضوع نشأة الحياة لم ينطلق حقا حتى عام 1952 بعد تجربة ملر-يوريا و التي أنتجا فيها خليط من المواد الكيميائية من بينها بعض الأحماض الأمينية و هذا عبر تفريغ شحنة كهربائية في خليط من الغازات التي كان يعتقد أنها تشكل الغلاف الجوي للأرض البدائية (هذه الفكرة نتجت عن دراسات أوبارين).(5)

من هنا يمكن القول أن موضوع ″نشأة الحياة″ أصبح مجال بحثي قائم بحد ذاته, من هنا انطلقت ثورة بحثية و تجارب كثيرة و متنوعة في هذا المجال, هذه الثورة التي لا تزال قائمة إلى يومنها هذا بسبب عدم الوصول إلى أي نتائج مرضية أو إحراز أي تقدم نحو الإجابة عن السؤال الأسمن هنا يمكن القول أن موضوع ″نشأة الحياة″ أصبح

مجال بحثي قائم بحد ذاته, من هنا انطلقت ثورة بحثية و تجارب كثيرة و متنوعة في هذا المجال, هذه الثورة التي لا تزال قائمة إلى يومنها هذا بسبب عدم الوصول إلى أي نتائج مرضية أو إحراز أي تقدم نحو الإجابة عن السؤال الأساسي الذي كان سببا في إنطلاقها من الأساس.

هدف هذه الثورة الأساسي كان و لا يزال محاولت إيجاد الشروط التي تشكلت فيها الحياة و هذا عبر محاولة إكتشاف الخطوات التي أدت إلى تشكل الحياة طبيعيا ثم محاكاتها في المختبر و مشاهدة الحياة تتشكل تلقائيا في هذه الشروط! هذا كان و لا يزال الهدف الأسمى و الأمثل لأي باحث في هذا المجال, لكن تجري الرايح بما لا تشتهي السفن, الان و بعد تَبَيُّن صعوبة هذا الامر بوضوح, أصبح الهدف الأساسي للكثير من الباحثين في هذا المجال هو على الأقل إيجاد الظروف اللازمة لتشكيل المواد التي تتشكل منها الحياة ,فيما أصبح مشهورا باسم ال"Prebiotic synthesis" أو "التركيب قبل إحيائي".

هذه الثورة يمكن تقسيمها إلى عدة مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة محاكات الشروط.

أول مرحلة في هذه الثورة البحثية حول نشأة الحياة بطريقة تجريبية كانت تتمثل في محاكات الشروط التي يُظن أنها كانت موجودة على الأرض البدائية وعدم التدخل في التجربة ومعاينة النتيجة فقط, من أشهر الأمثلة في هذه المرحلة هي دراسات ملر و زملائه (صاحب تجربة ملر-يوريا).

فشلت هذه الطريقة فشلاً ذريعاً، ولَم تنتج سوى قطران وفوضى ولا شيء آخر. ألقى هؤلاء العلماء اللوم على عدم امتلاكهم للموارد المتاحة للطبيعة على الأرض البدائية، مثل الوقت بملايين السنين والمساحة بملايين الكيلومترات المربعة وتنوع في الأوساط..... الخ!!

لكن نتائج هذه التجارب تمت الاستفادة منها عبر القول أنها أنتجت بعض المواد اللازمة التي تعتبر "سلائف كيميائية" أو "Chemical Precursors"

يمكن أن تتشكل منها مواد بناء الحياة بطريق ما, وبهذا انطلقت المرحلة الثانية لإيجاد هذه الطرق.

المرحلة الثانية: البحث الذكي.

للتغطية على النقص في الموارد المتاحة، انتقل معظم هؤلاء العلماء إلى المرحلة الثانية، وهي محاولة تصنيع المواد اللازمة المكونة للحياة و لكن عبر استخدام مواد كيميائية جاهزة، نقية و بتراكيز عالية.

هذه المواد هي السلائف الكيميائية التي تم إنتاجها في دراسات المرحلة الاولى، مهما كان المقدار و الكمية الذي ظهرت به في تجارب تلك للدراسات، المهم أنه يُعتقد أنها يمكن أن تتوفر.

انطلاقاً من تلك السلائف الجاهزة, النقية و المركزة، تتم محاولة إيجاد شروط يُعتقد أنها كانت متوفرة على الأرض البدائية (عبر محاولات عديدة في المختبر) تجعل هذه السلائف تتفاعل مع بعض وتنتج مواد أكثر تعقيدا، والهدف الأسمى هو إنتاج المواد الأولية والمركبات المعقدة التي تتشكل منها الحياة اليوم و تستخدمها.

الهدف الأول لهذه المرحلة هو إيجاد كل الشروط التي تشكلت تحتها كل المواد المكونة للحياة (نيوكليوتيدات، فوسفوليبيدات، أحماض أمينيه...الخ) وكيف تركبت هذه المواد مع بعض لإنتاج المركبات المعقدة التي تُكون الحياة كما نعرفها (RNA, Peptides ...الخ).

هذه المرحلة تعتبر مُكَملة للمرحلة الأولى, فكليهما هدفه الأسمى هو تشكيل المواد اللازمة لتشكيل الحياة.

هذه المرحلة بدأت منذ سبعينيات القرن الماضي و لا تزال إلى اليوم وهي تمثل حصة الأسد من البحوث في مجال نشأة الحياة ولقد واجهت فشلا ذريع هي الأخرى! ولم تحرز أي تقدم منذ انطلاقتها، كل ما أنتجته هو مجرد محاولات

عشوائية هنا و هناك، و كل مجموعة من العلماء ترى نتائج المجموعات الأخرى لا معنى لها. فالكل ينتقد الكل! (مثلا انظر إنتقاد الكيميائي روبرت شابيرو المدمر لهذه الدراسات (6)).

مشكلة عويصة جدا واجهت هؤلاء العلماء في هذه المرحلة, هذه المشكلة تكمن في فلسفة هؤلاء العلماء المبهمة, فهل يُبَرِر عدم توفر الموارد الكبيرة المتوفرة للأرض البدائية للعلماء استخدامهم مواد جاهزة، نقية ومركزة كتعويض عن هذا؟ حتى ولو بُرر هذا الأمر بطريقة ما (على خلاف نتائج المرحلة الأولى التي أنتجت قطران وخلائط كابوسية من المركبات و تراكيز ضئيلة جدا جدا)، فإنه لا يبرر بأي حال التدخل الذكي الكبير جدا في الكثير من هذه الدراسات والتجارب! مثلا التدخل في ضبط شروط التجربة وتغير هذه الشروط حسب الحاجة أو في طريقة اضافة المتفاعلات في التجربة إلى وسط التفاعل ومتى يتم ذلك ...الخ من التدخلات الذكية والكثيرة, هذه الظاهرة واضحة جلية لكل دارس لهذا المجال حتى أن مجلة "Nature" الشهيرة و ذات التوجه المادي الطبعاني عن جدارة, نشرت مقالا يناقش هذه الظاهرة و يعترف بوجودها و يعترف بأهمية هذا التدخل الإنساني في النتائج التي توصلت اليها معظم هذه الدراسات.(7) بعض العلماء، في هذه المرحلة الثانية، اهتموا بسؤال آخر، و هو بقولهم، لنفترض جدلا أننا إستطعنا حل مشكل إنتاج المواد الأولية اللازمة المعقدة (مثلا نيوكليوتيدات) و أيضا وجدنا طريقة لجمعها مع بعض لتشكيل المركبات المعقدة اللازمة (مثلا RNA)، فهل يمكننا إنتاج حياة بهذه المواد تحت ظروف يعتقد أنها بدائية؟

وعلى هذا النهج سارت العديد من المختبرات منذ سبعينيات القرن 20 -أشهرها مختبر الحائز على جائزة نوبل في الطب Jack Szostak و العالم الشهير Leslie Orgel- فبدؤا من مواد معقدة جداً، كالـ RNA ومواد كيميائية طاقوية، في محاولة لإيجاد نظام بسيط جدا - RNA قادر علي نسخ ذاته-.



هم يهدفون إلى هذا لعدة أسباب، أهم هذه الأسباب هي أن هذا النظام المبني على الـ RNA يكسر المعضلة السببية في الخلية حيث أن الـ DNA و الـ RNA والبروتينات كلها تحتاج لبعضها البعض لكي توجد، فهي تشكل حلقة سببية! فجاء الـ RNA وبرهن أنه مبدئياً يمكنه أن يلعب دور الـ DNA كحامل للمعلومات ودور البروتينات كمحفز للتفاعلات (أنزيم مكون من ال RNA يسمى Ribozyme)، وبهذا ظهرت فرضية مشهورة جدا تسمى "فرضية عالم ال RNA " أو " RNA world hypothesis" و ما عَمَلُ Szostak و Orgel إلا جزء من هذه الفرضية. وهناك الكثير من العلماء الأخرين ا

بعض العلماء، في هذه المرحلة الثانية، اهتموا بسؤال آخر، و هو بقولهم، لنفترض جدلا أننا إستطعنا حل مشكل إنتاج المواد الأولية اللازمة المعقدة (مثلا نيوكليوتيدات) و أيضا وجدنا طريقة لجمعها مع بعض لتشكيل المركبات المعقدة اللازمة (مثلا RNA)، فهل يمكننا إنتاج حياة بهذه المواد تحت ظروف يعتقد أنها بدائية؟

وعلى هذا النهج سارت العديد من المختبرات منذ سبعينيات القرن 20 -أشهرها مختبر الحائز على جائزة نوبل في الطب Jack Szostak و العالم الشهير Leslie Orgel- فبدؤا من مواد معقدة جداً، كالـ RNA ومواد كيميائية طاقوية، في محاولة لإيجاد نظام بسيط جدا - RNA قادر علي نسخ ذاته-.

هم يهدفون إلى هذا لعدة أسباب، أهم هذه الأسباب هي أن هذا النظام المبني على الـ RNA يكسر المعضلة السببية في الخلية حيث أن الـ DNA و الـ RNA والبروتينات كلها تحتاج لبعضها البعض لكي توجد، فهي تشكل حلقة سببية! فجاء الـ RNA وبرهن أنه مبدئياً يمكنه أن يلعب دور الـ DNA كحامل للمعلومات ودور البروتينات كمحفز للتفاعلات (أنزيم مكون من ال RNA يسمى Ribozyme)، وبهذا ظهرت فرضية مشهورة جدا تسمى "فرضية عالم ال RNA " أو " RNA world hypothesis" و ما عَمَلُ Szostak و Orgel إلا جزء من هذه الفرضية. وهناك الكثير من العلماء الأخرين الذين تبنوا هذه الفرضية وكرسوا أبحاثهم لإثباتها.

أهم هدف في نظر الباحثين في أصل الحياة عبر عالم ال RNA هو إنشاء نظام قابل لنسخ ذاته، هذا لأنه في نظرهم يكفي فقط أن يظهر نظام كهذا لكي يقوم التطور الدارويني الخارق ببداية عمله وتحويله إلى الحياة كما نعرفها اليوم, لهذا هم يحاولون جاهدين توفير إثبات مبدئي أن نظاما ينسخ ذاته ويورث صفاته أمر على الأقل ممكن بناءاً على ال RNA فقط و بهذا يصبح باقي الإشكال مجرد مشكل تطور كلاسيكي.

على الرغم من أن هذا النظام بسيط جدا و لا يعتبر حياً أبدا، وبالرغم من التدخل الذكي الكبير جدا لمحاولت تشكيله، إلا انهم فشلوا فشلا ذريعا في هذا, هذا بدون الأخذ في عين الاعتبار تفاصيل و صفات أخرى تعتبر أساسية و يجب أن تتوفر في أي نظام يمكن أن يقال عليه أنه حي مثل وجود أيض و غشاء ...إلخ، بالإضافة إلى صفات نسخ الذات وتوريث الصفات. (8)

هذا الفشل الذريع حفز عددا معتبرا من العلماء إلى انتهاج نهج مختلف, يمكن إعتباره المرحلة الثالثة, و لو أن هناك تداخل زمني بين هذه المراحل.

المرحلة الثالثة: مالا أستطيع صنعه لا أفهمه.

بسبب هذا الفشل الذريع الثاني لمجال أصل الحياة (الذي لا يريد المادي الطبعاني الاعتراف به)، انتقل الكثير من العلماء إلى مرحلة أخرى، تلهمهم فلسفة تشبه فلسفة الفيزيائي الشهير "ريتشارد فاينمان" التي تقول " لا أفهم حقا ما لا أستطيع صناعته" (9), يهدف هؤلاء بشكل أساسي, من جهة, لمحاولة إثبات أن الحياة يمكن أن تنتج من المادة مبدئياً، أي إثبات الأمر مبدئيا فقط بدون تقييد النفس بالشروط المتواجدة على الأرض البدائية، أو محاولت التقليل من التدخل الذكي...الخ,و من جهة أخرى, محاولة فهم الحياة إلى أقصى درجة والإلمام بكل تفاصيلها صغيرة وكبيرة.

هؤلاء العلماء بعد أن تحرروا من كل القيود التي فرضها السابقون (الذين حاولوا إضفاء بعض الواقعية على محاولاتهم)، حاولوا أن يصنعوا أبسط شكل من أشكال الحياة، نظام قادر علي نسخ ذاته، وتمرير صفاته، نظام كيميائي بعيد عن التوازن، له أيض ...الى اخره من الصفات الأساسية في أبسط شيء نسميه "حي".

هؤلاء العلماء لم يتركوا تقنية إلا استخدموها، ولا آلة إلا وظفوها, لا قيود تقيدهم أبدا ، كل التكنولوجيا الحديثة مباحة ومتاحة. و مع هذا لم ينتجوا ولا شيء يمكن حتى من بعيد أن نقول عليه حي!!! ناهيك عن خلية حية بنفس تعقيد أبسط خلية حية يمكن تصورها اليوم! مثلا أبسط خلية حية اليوم تحتوي علي 180 الى 473 جين (473 كما في ورقة علمية صدرت عام 2016 للعالم كريج فنتر للعدد الأدنى للجينات لأبسط خلية مستقلة لا تحتاج وجود كائنات غيرها للعيش) (10) ولكن تنزلاً دعنا نقول 180 جين فقط! (فقدان أي جين منهم يجعلها تموت).

لا تزال المحاولات إلى يومنا هذا، وستستمر في المستقبل, فالمادي بحاجة ماسة الي هذا "البرهان" المبدئي لمعتقده.

خلاصة القول:

تاريخ نشأة الحياة حافل بالتغيرات, فبعد أن كان الناس يظنون أن الحيوانات المعقدة مثل الذباب وحتى الفئران تظهر بالكامل من اللاحياة وهذا لأزيد من 2000 سنة و بدون أن يبدوا الأمرُ أمرا غريبا, و هذا لجهلهم بما يتطلبه الأمر، تطور و تغير هذا الأمر في جزء من هذا الوقت، حوالي 70 سنة فقط لينقلب الأمر الآن الي مجرد محاولة إثبات أن أبسط شيء حي يمكن أن ينتج من اللامادة بشكل و ليس حتى تلقائيا أو ذاتيا بشكل طبيعي، بل فقط إمكانية حدوث هذا مبدئيا في المختبر وبكل الوسائل.

في الأخير، يمكن استخدام هذا التاريخ الطويل لإثبات أن القرآن الذي يؤمن به المسلمون حقاً مصدره رباني، فمثلا هناك اتهام غريب رُمي به القران، حيث أنه أُتهِم بسرقة معلوماته من الفلاسفة الإغريقية!، مثلا في مراحل خلق الجنين، القرآن يتم اتهامه بسرقتها من باطن كتب "جالين Galen" (فيلسوف يوناني)، لكن بمجرد قراءتك لكتابات "جالين" ستستغرب وتسأل نفسك هل القران حقاً سرق عنه؟ لأن القران فلتر الصحيح فقط من أقوال جالين و تجنب الخرافات التي تملأ كتبه. فكيف نسخ النبي الأمي هذا الكلام من باطن كتب فلاسفة الإغريق الغير متداولة والغير مترجمة للعربية أصلا، بل وبيئته لا تهتم أساسا بالفلسفة وما يتهم به الرسول والقران يحتاج علم كبير بكتابات الفلاسفة الإغريق، وأخيرا مراحل تشكل الجنين كانت تعتبر أمور "خلافية" بين الفلاسفة، مثلا ما قاله واحد من أشهر الفلاسفة وهو أرسطو في نفس الباب يختلف عن ما قاله جالين، وما قاله ارسطو نجده في الكتاب المقدس!!!!

لكن لو صحت دعوى النقل المتهافتة اصلا، كيف لهذا القرآن أن يعتبر خلق ذبابة (و التي أشتهر عن فلاسفة الإغريق أنها يمكن أن تتخلق ذاتياً و بقي هذا الاجماع زمنا طويلاً) تحدياً للكفار منذ أكثر من 1400 سنة وتجده يضرب الأمثلة بالبعوض على وجود خالق لهذا الكون!! فالمسلم

لكن لو صحت دعوى النقل المتهافتة اصلا، كيف لهذا القرآن أن يعتبر خلق ذبابة (و التي أشتهر عن فلاسفة الإغريق أنها يمكن أن تتخلق ذاتياً و بقي هذا الاجماع زمنا طويلاً) تحدياً للكفار منذ أكثر من 1400 سنة وتجده يضرب الأمثلة بالبعوض على وجود خالق لهذا الكون!! فالمسلم يؤمن ان الأمر يحتاج مصمم ذكي ذو قدرة وعلم عاليين جدا!! في حين كان العالم مجمع أن الذباب يظهر تلقائيا بلا خالق من اللحم!! فكيف يضرب كاتب هذا القرآن مثالا بكائنات يُظن أنها تظهر من المادة دون خالق وهو يعلم ما يقوله الإغريق والعالم وهم متفقون عليه، أي أن هذه الأمور تظهر من المادة بدون تدخل عاقل؟ ما هذه المراوغات والفلترة؟ وكيف يأخذ المختلف عليه (ويفلتر ويصفي الصحيح منه فقط!!) ويترك المتفق عليه و المشهور عنهم ولا يذكره أبدا مثل مسألة التخليق الذاتي بل ويخالفهم فيه؟

بل وحتى أن صيغة التحدي التي استخدمها القرآن مريبة حيث أنه يقول:

"إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ ....." 25 من سورة البقرة. وقد اختلف المفسرون في تأويلها اختلافا كبيرا! فكيف يضرب لهم مثلا ببعوضة وهم يرونها أضعف خلق ومن يعلم منهم يرى انها تظهر بلا خالق! وكيف يتحداهم بخلق الذباب وهم يرونه أضعف الخلق ويظهر بلا خالق؟!

من آمن منهم فيعلم أن هذا الحق ولو جهل السبب، والان بعد 1400 سنة نعلم السبب وهو أن الذباب والبعوض ليست أمور تافهة ولو اجتمعت الجن والإنس على خلق مثلها ما استطاعوا! ضعف الطالب والمطلوب, يقول الله تعالى في سورة الحج آية 73: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ)، مهما كان (أصنام، آلهة غير الله، مادة...الخ).

انتهى

مراجع

(1)

https://link.springer.com/article/10.1007/BF00346661

(2)

https://link.springer.com/referenceworkentry/2%10.1007F4-11274-642-3-978_1301

(3)

https://www.darwinproject.ac.uk/letter/DCP-LETT-7471.xml

(4)

https://link.springer.com/referenceworkentry/2%10.1007F5-44185-662-3-978_1275

(5)

http://faculty.jsd.claremont.edu/dmcfarlane/bio145mcfarlane/PDFs/miller_prebiotic20%souppdf.pdf

(6)

https://www.amazon.com/Origins-Skeptics-Guide-Creation-Earth/dp/0553343556

(7)

https://www.nature.com/articles/s5-07219-018-41467

(8)

https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC/3331698

(9)

https://larryferlazzo.edublogs.org/07/04/2012/what-i-cannot-create-i-do-not-understand/

(10)

J. Craig Venter et al., 'Design and synthesis of a minimal bacterial genome', Science 25Mar 2016: Vol. 351, Issue .6280



مقال: د. محمد القليط

عنوان المقال

اثبات صفة العدل الالهى و الاستدلال منها على ضرورة الرسل..!

بما أن الله هو خالق كل شيء، إذن هو قدير على ما خلقه؛ إذن هو قدير على كل شيء..

و بما أنه خالق كل شيء، فهو عليم بما خلقه؛ إذن هو عليم بكل شيء..

و خالق كل شيء هو مالك لما خلقه؛ إذن هو مالك لكل شيء..!

و خالق كل شيء هو مستغن عمن خلقه؛ إذن هو مستغن عن كل شيء..



و لأن العدل هو وضع الشيء فى موضعه، فإن ذلك يتطلب العلم بالشيء و بموضعه، و القدرة على وضعه فى موضعه..!

فإن الظلم ينشأ إما من عدم القدرة على وضع الشيء فى موضعه - مع العلم به - و قد أثبتنا أن الخالق قدير على كل شيء، فهو قدير على وضع الشيء فى موضعه..!

و إما ينشأ من عدم العلم بموضعه، مع القدرة عليه، و قد أثبتنا أن الخالق عليم بكل شيء؛ إذن هو عليم بالشيء و موضعه..!

و إما ينشأ الظلم من إرادة توسيع الملك، و قد أثبتنا أن الخالق مالك لكل شيء، و لا مالك سواه، فكيف يريد توسيع ملك، و كل شيء ملكه ؟!

و إما ينشأ الظلم من حاجة من يظلم إلى جلب أكبر قدر من المنافع و الشهوات، و قد أثبتنا أن الخالق غير مفتقر لشيء، و هو مستغن عن كل شيء..!

شبهة:

قد يقول قائل: أسلّم لك بكل ما أسلفت؛ لكن قد ينشأ الظلم من حب الخالق للظلم، فما قولك حينها ؟!

أقول:

إن الذى فطر خلقه على حب العدل، لا يكون مفتقدا لحبه، كما أن اتصاف بعض خلقه بالعدل، دليل على اتصافه به؛ فواهب الكمال لا يكون ناقصا..!

فما جاز له من الكمال فهو واجب له.. و هو جائز له؛ لأنه جائز فى المخلوق، فلأن يكون جائزا للخالق بطريق الأولى.. و ما جاز له هو واجب له؛ لأنه لا يفتقر فى اتصافه على غيره..!



و هى صفة واجبة لذاته؛ لأنه منحها للمخلوق، و فاقد الشىء لا يعطيه، و ناقص الكمال لا يمنح الكمال؛ و إلا استلزم الدور المحال..!

أيضا: من طريق القيم الأخلاقية ـ و منها صفة العدل ـ المركوزة فى فطرة العبد، و افتقار ذلك لمرجع لا يتناقض مع نفسه، فيخلق فى العبد تلك الصفات، أو يغرس فيه حبها، فيمتنع ألا يكون متصفا به، أو بحبها..!

و بما أن الخالق يتصف بالعدل، فتقتضى تلك الصفة ـ دون إيجاب غيره عليه ـ ألا يسوّى بين المحسن و المسىء، و الظالم و المظلوم، فيموت الجميع بلا ثواب أو عقاب..!

فيترتب على ذلك وجود دار أخرى يحاسب فيها الناس، و يحكم فيها بين العباد..!

و لاقتضاء صفة العدل وجود هذه الدار (المحكمة الإلهية) فلابد من وجود قانون يحدد لهم تفاصيل الصواب و الخطأ من أفعالهم، و إن أدركوا حسنها أو قبحها بشكل مجمل، لكن كى تكون مرجعا ثابتا لهم، فيقام به الحجة على مخالفه، فيستحق العقاب إن خالفه، و يستحق الثواب من لم يتمرد عليه، بل و اتبعه..!

هذا القانون هو الرسالة، التى يصلح بها العباد إن اتبعوها، و تقيم الحجة على من لم يتبعها جحودا أو نكرانا، و تكذيبا أو شكا أو إعراضا..!

فالرسالة ضرورية يقتضيها العدل الإلهى، فهى القانون الذى يُدعى الناس للإذعان له، و مخالفه يكون مستحقا للعقاب..!

و الله المستعان..



عنوان المقال

مقال: د. هشام عزمي

التصور المشوه للحكمة الالهية عند أنصار التطور الموجه

تعتمد فئة كبيرة من أدلة التطور على الزعم بوجود عيوب في الكائنات الحية مما لا يتفق مع كونها من خلق إله حكيم عليم خبير ، من هذه الأدلة وجود الأعضاء الأثرية الضامرة والانتكاسات التطورية والحمض النووي عديم الفائدة . يتم طرح هذه الأدلة على أنها تمثل البرهان على كون الخلق لا يتصف بالدقة والإحكام والكمال ، وبالتالي فهو أقرب إلى أن يكون نتاجًا للعشوائية المتمثلة في نظرية التطور عن أن يكون من صنع الخالق الحكيم العليم القدير .

يقول د. عمرو شريف تحت عنوان الأدلة العلمية على حدوث التطور : ((لقد احتفظ جنين الإنسان بالبراعم التي تشكل الأثداء المتعددة في باقي الثدييات، وبدلاً من أن تضمر كلها (باستثناء اثنين) نشط بعضها عند وصول الفتاة لسن البلوغ، وكوّن ثديًا أو حلمةً زائدةً أو أكثر. كيف يدفع المعارضون لمفهوم الأصل المشترك هذا الدليل؟))[1]

ويقول في نفس الصفحة عن الأعضاء الأثرية: ((هي أعضاء موجودة بشكل ضامر وليس لها استخدام في بعض الكائنات الحية، ولكن لها وجود ووظيفة في الكائنات القريبة منها. مثال ذلك العضلات المسئولة عن حركة صوان الأذن، فقد فقدت وظيفتها (بالرغم من وجودها) في الإنسان بينما ما تزال تعمل في الشمبانزي))[2].

هذان "الدليلان" قدمهما د. عمرو شريف لأنصار الخلق الإلهي المباشر- ضمن أدلة أخرى كثيرة- كبرهان على صحة التطور، الدليل الأول وهو يحكي عن ما يسمى عند التطوريين بالانتكاسات التطورية atavisms وهي عودة ظهور صفة كانت في الأسلاف التطورية في أحد الأنواع على نحو شاذ ، وأشهر مثال لها هو أرجل الحيتان ، فإن ((حوالي حوتًا واحدًا من كل خمسمائة يولد برجلين خلفيتين ناتئتين خارج جدار الجسد))[3]. ويعتقد التطوريون أن سبب هذه الانتكاسات التطورية هو عودة جين أثرى خامل موروث من الأسلاف للعمل أو كما يقول جيري كوين: ((لماذا تحدث تأسلات[4] كهذه على العموم؟ أفضل نظرياتنا أنها تأتي من عودة تعبير جينات كانت وظيفية في الأسلاف، لكنها أسكتت بفعل الانتخاب الطبيعي عندما لم يعد هناك حاجة لها. إلا أن هذه الجينات الخاملة يمكن في بعض الأحيان أن تستيقظ مجددًا عندما يسير شيء ما بشكل منحرف في التطور الجنيني. لا تزال الحيتان تحتوي بعض المعلومات الجنينية لعمل الأرجل، ليست أرجلاً كاملةً، حيث أن المعلومات قد أُفسدت خلال ملايين السنين التي كمنت فيها غير مستعملة في الجينوم، إلا أنها أرجل رغم ذلك. وتلك المعلومات هي هناك لأن الحيتان تحدرت من أسلاف رباعية الأطراف. كأحواض الحيتان التي في كل أفرادها، فإن أرجل الحيتان النادرة دليل على التطور))[5].

فخلاصة هذا الدليل عند أنصار نظرية التطور هو وجود جينات خاملة كامنة بدون وظيفة أو فائدة موروثة من الأسلاف الذين تطور منهم النوع، وهذه الجينات قد تنشط لسبب ما أثناء نمو الجنين فتظهر هذه الأعضاء القديمة لتدلل على الأصل التطوري للكائن الحي، ولهذا يعدها القوم دليلاً على التطور. ويوافق د. عمرو شريف على هذا الطرح مستدلاً بنفس المفهوم على وقوع التطور رغم أن المؤمنين يعلمون ويعتقدون أن الله لا يخلق شيئًا إلا وله حكمة وغاية، ولا يخلق عبثًا أو اعتباطًا، وأن المسلم عندما يواجهه التطوريّ بهذا "الدليل" يقول إنه لا يوجد جينات

غير وظيفية في الشريط الوراثي وأن الصواب هو أنها لها وظيفة نحن لا نعلمها بعدُ، وأن الكثير مما كان يوصف بأنه جينات أثرية بلا فائدة ثبتت فاعليته ووظيفته فيما بعد، وأن تقدم العلم باستمرار يكشف كل يوم المزيد عن الجينات غير معروفة الوظيفة. فنحن لا نقول بوجود جينات بلا وظيفة– بفرض ثبوت وجود هذه الجينات في حالة الانتكاسات التطورية- بل نقول إن لظهور هذه الأعضاء في أفراد معينة له حكمةً خفيةً عنّا، ونحن نعلم أن هذا قد يكون في الإنسان على سبيل الابتلاء والامتحان أو لغيرها من الأسباب، فما المانع عقلاً أن يكون لها حكمة بالغة في بعض أفراد الكائنات الحية الأخرى؟ هذا الفهم وهذا التفسير يتفق مع عقيدة المسلم واستيعابه الصحيح للحكمة الإلهية الواسعة وأنها تفوق حكمة وعلوم البشر، كما أن الفهم والتفسير التطوري يتفق واعتقاد الملحد في عدم وجود حكمة أو غائية أو إله قادر عليم حكيم. فكيف للمسلم أن يتبنى الفهم والاستدلال الإلحادي لإثبات وقوع التطور؟ الملحد ينطلق من مقدمات وفرضيات فلسفية معينة وهي أنه لا خلق ولا حكمة ولا نظام، فجاء تبريره لظهور بعض الأعضاء الشاذة في بعض أفراد الكائنات الحية موافقًا للمقدمات والفرضيات التي انطلق منها، ألم تلاحظ قول كوين في الاقتباس السابق ((لماذا تحدث تأسلات كهذه على العموم؟ أفضل نظرياتنا أنها تأتي من ...))؟ وهل يصح أن نتبع افتراضًا نظريًا ليس علمًا يقينيًا قطعيًا ونحتج به فضلاً عن مخالفته لتصورنا الإسلامي عن حكمة الله عز وجل؟ أما المسلم فينطلق من مقدمات مختلفة تمنعه من تبني التفسير الإلحادي وتمنعه من استعماله أو الاحتجاج به، خصوصًا أن هذا التفسير في حقيقة الأمر مجرد افتراض نظري أو محاولة للتفسير بناءً على مقدمات فلسفية معينة تتعارض بشدة مع عقيدة المسلم.

أما الدليل الثاني الذي قدمه د. عمرو شريف فهو عن ما يسمى بالأعضاء الأثرية vestigial organs ويصفها بأنها أعضاء ضامرة ليس لها وظيفة أو استخدام لكن لها وظيفة في أسلافها التطوريين، فوجود هذه الأعضاء التي بدون فائدة أو وظيفة دليل على أنها موروثة من سلف سابق! وهذا دليل معروف يستخدمه التطوريون لأجل نفي وجود الحكمة والتصميم الحكيم في خلق الكائنات وبالتالي نفي خلقها عن طريق إله قادر عليم حكيم؛ يقول التطوري المشهور دوجلاس فوتوياما: ((نجد أن عظام طائر الدودو الذي لا يطير والبطريق هي أيضًا مجوفة، وكأنها معدة للطيران وأن (حيوان) الخلد وسمندر الكهف لهما أيضًا عدسات وشبكية لا وظيفة لهما، ولكل كائن مثل هذه السمات من الأعضاء التي لا وظيفة لها والتي يمكن أن تكون فقط بقايا من تكيفات في الماضي، لماذا يوجد لدينا ما يسمى بضروس العقل، إلا إذا كان فكنا قد أصبح أصغر، حتى إن أسنان أسلافنا لم تعد تلائمنا؟ ولماذا لا بد لنا، مثل الرئيسيات الأخرى لكن تختلف عن أغلب الفقاريات الأخرى، نحتاج لفيتامين ج في وجباتنا، إذا لم يكن ذلك نابعًا من أن أسلافنا حصلوا على ما يكفيهم من فيتامين ج في وجباتهم من الفاكهة؟ فهل نجد هنا دليلاً على تصميم عاقل؟))[6].

فوتوياما يسأل مستنكرًا عن الأعضاء الأثرية عديمة الوظيفة هل تدل على تصميم حكيم؟ فهي تدل –عنده– على انعدام التصميم، وبالتالي إثبات التطور القائم على العشوائية، ثم يأتي بعض المسلمين ليتبعه في استدلاله لنفي التصميم ونفي الحكمة الإلهية بزعم خلق أعضاء بلا وظيفة. وهل يمكن أن يعتقد المسلم أن الله يخلق خلقًا بلا حكمة ولا وظيفة ولا غاية ولا هدف؟ أو أن يخلق الله عبثًا واعتباطًا؟ بل المسلم ينفي وجود أعضاء أو تراكيب حيوية بلا وظيفة، فكل عضو له وظيفة علمناها أو لم نعلمها، وتقدم العلم يكشف باستمرار هذه الوظائف التي كنا نجهلها في الماضي أو ما زلنا نجهلها، بل لو استجاب العلماء للأحكام التي يصدرها التطوريون بخصوص وظائف الأعضاء لما سعوا لمعرفة هذه الوظائف ولتوقف تقدم علم الأحياء بالكامل، بل إن هناك علمًا كاملاً اسمه علم وظائف الأعضاء physiology مختص بدراسة الأعضاء ووظائفها، فهل سيكون هناك فرصة لتقدم هذا العلم وتنميته في ظل فلسفة علمية تؤمن بأن هناك من الأعضاء ما ليس له وظيفة، بل هو مجرد نفايات باقية من أسلاف سابقين؟! يقول البروفيسور ديفيد منتون: ((مما لا شك فيه أن عقيدة التطوريين فيما يتعلق بالأعضاء الأثرية قد تدخلت بالسلب في تقدم مسار العلم التجريبي . فقط عندما تجاهل العلماء دعاوى التطوريين صار لديهم القدرة على تعيين وظائف ما كانت يومًا ما أعضاءً أثرية مثل الغدة الجاردرقية والغدة التيموسية والجسم الصنوبري والغدة النخامية والغدة الكظرية))[7].

لكن هنا يجب أن نستدرك على وصف د. عمرو شريف للأعضاء الأثرية بأنها ليس لها استخدام أو وظيفة، فهذا الوصف ليس في محله وهو خطأ من جانب الدكتور، يقول جيري كوين: ((النظرية التطورية لا تقول إن الخصائص الأثرية ليس لها وظيفة بالضرورة. فيمكن لصفة أن تكون أثرية ووظيفية في نفس الوقت. إنها أثرية ليس لأنها لا وظيفية، بل لأنها لم تعد تقوم بالوظيفة التي تطورت لأجلها. فجناحا النعامة مفيدان، لكن هذا لا يعني أنهما لا يقولان شيئًا عن التطور. ألن يكون غريبًا لو ساعد الخالقُ النعامَ على موازنة أنفسهم بإعطائهم لواحق يصادف تمامًا أن تبدو

مثل الأجنحة الضامرة، ومبنية بنفس الطريقة بالضبط التي للأجنحة المستخدمة للطيران؟))[8] فهنا كوين ينكر على من يقولون إن الأعضاء الأثرية لا بد أن تكون بلا وظيفة، ويرى أنها قد تكون أثرية وذات وظيفة في نفس الوقت، لكنها غير وظيفتها الأصلية، ويضرب مثلاً بأجنحة النعام، فهو طائر لا يطير لكنه يستخدم أجنحته في حفظ توازن الجسم أثناء الركض، فهنا صارت الأجنحة تستخدم في وظيفة أخرى غير وظيفتها الأصلية التي هي الطيران. وهذا في الحقيقة تحايل بارع من كوين تجاه كون الأعضاء المزعوم أثريتها لها وظيفة أو وظائف حيوية في الكائن الحي، لكنه لا يساعده كثيرًا لأن المؤمن بالخالق الحكيم لن يمثل له هذا أي مشكلة، فوجود نفس العضو في كائنات مختلفة بوظائف مختلفة لا يطعن في حكمة الخالق، بل بالعكس يدل على البراعة والإبداع، فمثلاً الكاتب إذا استعمل نفس الكلمة بمعانٍ مختلفة في سياقات مختلفة فإن هذا يدل على براعته الشديدة وتمكنه الأدبي البالغ من أدواته البلاغية، كذلك الخالق تبارك وتعالى إذا جعل لنفس العضو وظائف مختلفة في كائنات مختلفة فهذا يدل على تمام الحكمة وكمال الإبداع ولا يطعن إطلاقًا في حكمته سبحانه بل يبرزها.

أليس من العجيب بعد كل هذا أن يتم طرح هذه "الأدلة" بواسطة المسلمين المؤمنين بالتطور ليثبتوا لغيرهم أن التطور حقيقة يجب الإيمان بها واتباعها، فهل يدركون اللوازم العقدية المترتبة على موافقة التطوريين في دلالة هذه الأدلة؟ نحن عندما نجيب عن هذه الدلالة المزعومة لهذه الأطروحة التطورية نتحصن بحكمة الله عز وجل ونقول إن ما لا نعلم حكمته يختلف عما نعلم عدم حكمته، وأن التفريق مهم، ثم نقوم بحمل المتشابه الذي لا نعلم حكمته على المحكم الذي نعلم حكمته في خلق الإنسان وجميع الكائنات الحية. وفي هذا السياق نحمد الله تبارك وتعالى أن العلم لم يتوقف عند كلمة التطوريين الذي يصدرون الأحكام على الأعضاء والأنظمة الحيوية والأحماض النووية بأنها عديمة القيمة أو بقايا أثرية بلا فائدة، فما زال العلم يتقدم وينمو وما كان مجهولاً بالأمس صرنا نعلمه اليوم، وكثيرٌ من الأعضاء المتهمة بأنها دون فائدة وأجزاء الحمض النووي المحكوم عليها بعدم القيمة عرفنا الآن قيمتها وفائدتها ووظيفتها، وما زال قطار العلم يمضي نحو مزيد من الاكتشافات في هذا الباب.

لكن الأمر المثير للتساؤل هو موقف المسلمين الذين يروجون لنظرية التطور عن طريق طرح هذه الأدلة ويوافقون التطوريون في دلالتها على التطور العشوائي الذي ليس فيه مكان للخالق العليم الحكيم الذي أتقن كل شيء صنعه.

المراجع:

[1] [1] د. عمرو شريف ، كيف بدأ الخلق ، مكتبة الشروق الدولية ، الطبعة الأولى 2011 ، ص172

[2] نفس المصدر السابق

[3] جيري كوين ، لماذا التطور حقيقة ، ترجمة لؤي عشري ، ص76

[4] يترجمها لؤي عشري إلى تأسلات لأنه في العربية تأسل الولد أباه أي نزع إليه في الشبه ، المصدر السابق

[5] المصدر السابق ص76-77

[6] دوجلاس فوتوياما ، العلم قيد المحاكمة ، ترجمة أحمد فوزي ، مراجعة فتح الله الشيخ ، المركز القومي للترجمة ، الطبعة الأولى 2012 ، ص318-319

[7] David N. Menton, The plantaris and the question of vestigial muscles in man, CEN Technical Journal **14**(**2**) **2000**

[8] جيري كوين، لماذا التطور حقيقة، ص71



عنوان المقال

مقال: الشيخ عبد الله الخليفي

ما تعلمه بنو ادم من الحيوانات ...

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه

أما بعد :

قال ابن القيم في شفاء العليل (74/1) :

"والأطباء تزعم أن الحقنة أخذت من طائر طويل المنقار إذا تعسر عليه الذرق جاء إلى البحر المالح وأخذ بمنقاره منه واحتقن به فيخرج الذرق بسرعة .

وهذا الثعلب إذا اشتد به الجوع انتفخ ورمى بنفسه في الصحراء كأنه جيفة فتتداوله الطير فلا يظهر حركة ولا نفسا فلا تشك أنه ميت ، حتى إذا نقر بمنقاره وثب عليها فضمها ضمة الموت .

وهذا ابن عرس والقنفذ إذا أكلا الأفاعي والحيات عمدا إلى الصتر النهري فأكلاه كالترياق لذلك

ومن عجيب أمر الثعلب أنه إذا أصاب القنفذ قلبه لظهره لأجل شوكة فيجتمع القنفذ حتى يصير كبة شوك فيبول الثعلب على بطنه ما بين مغرز عجبه إلى فكيه فإذا أصابه البول اعتراه الأسر فانبسط فيسلخه الثعلب من بطنه ويأكل مسلوخه

وكثير من العقلاء يتعلم من الحيوانات البهم أمورا تنفعه في معاشه وأخلاقه وصناعته وحربه وحزمه وصبره

وهداية الحيوان فوق هداية أكثر الناس

قال تعالى أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلا قال أبو جعفر الباقر والله ما اقتصر على تشبههم بالأنعام حتى جعلهم أضل سبيلا منها.

فمن هدى الأنثى من السباع إذا وضعت ولدها أن ترفعه في الهواء أياما تهرب به من الذر والنمل لأنها تضعه كقطعة من لحم فهي تخاف عليه الذر والنمل فلا تزال ترفعه وتضعه وتحوله من مكان إلى مكان حتى يشتد .

وقال ابن الأعرابي قيل لشيخ من قريش من علمك هذا كله وإنما يعرف مثله أصحاب التجارب والتكسب قال علمني الله ما أعلم الحمامة تقلب بيضها حتى تعطي الوجهين جميعا نصيبهما من حضانتها ولخوف طباع الأرض على البيض إذا استمر على جانب واحد .

وقيل لآخر من علمك اللجاج في الحاجة والصبر عليها وإن استعصت حتى تظفر بها

قال من علم الخنفساء إذا صعدت في الحائط تسقط ثم تصعد ثم تسقط مرارا عديده حتى تستمر صاعدة .

وقيل لآخر من علمك البكور في حوائجك أول النهار لا تخل به قال من علم الطير تغدو خماصا كل بكرة في طلب أقواتها على قربها وبعدها لا تسأم ذلك ولا تخاف ما يعرض لها في الجو والأرض .

وقيل لآخر من علمك السكون والتحفظ والتماوت حتى تظفر بأربك فإذا ظفرت به وثبت وثوب الأسد على فريسته فقال الذي علم السهر أن ترصد جحر الفأرة فلا تتحرك ولا تتلوى ولا تختلج كأنها ميتة حتى إذا برزت لها الفأرة وثبت عليها كالأسد .

وقيل لآخر من علمك الصبر والجلد والاحتمال وعدم السكون قال من علم أبا أيوب صبره على الأثقال والاعمال الثقيلة والمشي والتعب وغلظة الجمال وضربه فالثقل والكل على ظهره ومرارة الجوع والعطش في كبده وجهد التعب والمشقة ملأ جوارحه ولا يعدل به ذلك عن الصبر وقيل لآخر من علمك حسن الإيثار والسماحة بالبذل قال من علم الديك يصادف الحبة في الأرض وهو يحتاج إليها فلا يأكلها بل يستدعي الدجاج ويطلبهن طلبا حثيثا حتى تجيء الواحدة منهن فتلقطها وهو مسرور بذلك طيب النفس به وإذا وضع له الحب الكثير فرقه هاهنا وهاهنا وإن لم يكن هناك دجاج لأن طبعه قد ألف البذل والجود فهو يرى من اللؤم أن يستبد وحده بالطعام .

وقيل لآخر من علمك هذا التحيل في طلب الرزق ووجوه تحصيله قال من علم الثعلب تلك الحيل التي يعجز العقلاء عن علمها وعملها وهي أكثر من أن تذكر

ومن علم الأسد إذا مشى وخاف أن يقتفى أثره ويطلب عفى أثر مشيته بذنبه

ومن علمه أن يأتي إلى شبله في اليوم الثالث من وضعه فينفخ في منخريه لأن اللبوءة تضعه جروا كالميت فلا تزال تحرسه حتى يأتي أبوه فيفعل به ذلك

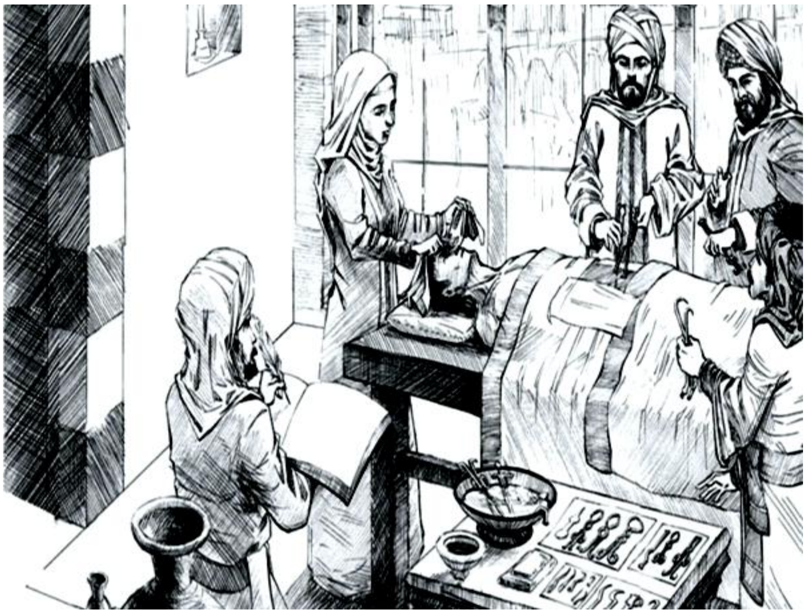
ومن الهم كرام الأسود وأشرافها أن لا تأكل إلا من فريستها وإذا مر بفريسة غيره لم يدن منها ولو جهده الجوع

ومن علم الأسد أن يخضع للبر ويذل له إذا اجتمعا حتى ينال منه له

ومن عجيب أمره أنه إذا استعصى عليه شيء من السباع دعا الأسد فأجابه إجابة المملوك لمالكه ثم أمره فربض بين يديه فيبول في أذنيه فإذا أراد السباع ذلك أذعنت له بالطاعة والخضوع ومن علم الثعلب إذا اشتد به الجوع أن يستلقي على ظهره ويختلس نفسه إلى داخل بدنه حتى ينتفخ فيظن الظان أنه ميتة فيقع عليه فيثب على من انقضى عمره منها

ومن علمه إذا أصابه صدع أو جرح أن يأتي إلى صبغ معروف فيأخذ منه ويضعه على جرحه كالمرهم

ومن علم الدب إذا أصابه كلم أن يأتي إلى نبت قد عرفه وجهله صاحب الحشائش فيتداوى به فيبرأ



ومن علم الأنثى من الفيلة إذا دنا وقت ولادتها أن تأتي إلى الماء فتلد فيه لأنها دون الحيوانات لا تلد إلا قائمة لأن أوصالها على خلاف أوصال الحيوان وهي عالية فتخاف أن تسقطه على الأرض فينصدع أو ينشق فتأتي ما وسطها تضعه فيه فيكون كالفراش اللين والوطاء الناعم

ومن علم الذباب إذا سقط في مائع آن يتقي بالجناح الذي فيه الداء دون الاخر

ومن علم الكلب إذا عاين الظباء آن يعرف المعتل من غيره والذكر من الأنثى فيقصد الذكر مع علمه بأن عدوه أشد وأبعد وثبة ويدع الأنثى على نقصان عدوها لأنه قد علم أن الذكر إذا عدا شوطا أو شوطين حقن ببوله

وكل حيوان إذا اشتد فزعه فإنه يدركه الحقن وإذا حقن الذكر لم يستطع البول مع شدة العدو فيقل عدوه فيدركه كالكلب وأما الأنثى فتحذف بولها لسعة القبل وسهولة المخرج فيدوم عدوها ومن علمه أنه إذا كسا الثلج الأرض أن يتأمل الموضع الرقيق الذي قد انخسف فيعلم ان تحته جحر الأرنب فينبشه ويصطادها علما منه بأن حرارة أنفاسها تذيب بعض الثلج فيرق

ومن علم الذئب إذا نام أن يجعل النوم نوبا بين عينيه فينام بإحداهما حتى إذا نعست الأخرى نام بها وفتح النائمة حتى إذا قال بعض العرب

ينام بإحدى مقلتيه ويتقي ... بأخرى المنايا فهو يقظان نائم

ومن علم العصفور إذا سقط فرخها أن تستغيث فلا يبقى عصفور بجوارها حتى يجيء فيطيرون حول الفرخ ويحركونه بأفعالهم ويحدثون له قوة وهمة وحركة حتى يطير معهم

قال بعض الصيادين ربما رأيت العصفور على الحائط فأومئ بيدي كأني أرميه فلا يطير وربما أهويت إلى الأرض كأني أتناول شيئا فلا يتحرك فإن مسست بيدي أدنى حصاة أو حجر أو نواة طار قبل أن تتمكن منها يدي

ومن علم الحمامة إذا حملت أن تأخذ هي والأب في بناء العش وأن يقيما له حروفا تشبه الحائط ثم يسخناه ويحدثا فيه طبيعة أخرى ثم يقلبان البيض في الأيام ومن قسم بينهما الحضانة والكد فأكثر ساعات الحضانة على الأنثى وأكثر ساعات جلب القوت على الأب وإذا خرج الفرخ علما ضيق حوصلته عن الطعام فنفخا فيه نفخا متداركا حتى تتسع حوصلته ثم يزقانه اللعاب أو شيئا قبل الطعام وهو كاللبا للطفل ثم يعلمانه احتياج الحوصلة إلى دباغ فيزقانه من أصل الحيطان من شيء بين الملح والتراب تندبغ به الحوصلة فإذا اندبغت زقاه الحب فإذا علما انه أطاق اللقط منعاه الزق على التدريج فإذا تكاملت قوته وسألهما الكفالة ضرباه



ومن علمهما إذا أراد السفاد أن يبتدئ الذكر بالدعاء فتتطارد له الأنثى قليلا لتذيقه حلاوة المواصلة ثم تطيعه في نفسها ثم تمتنع بعض التمنع ليشتد طلبه وحبه ثم تتهادى وتتكسل وتريه معاطفها وتعرض محاسنها ثم يحدث بينهما من التغزل والعشق والتقبيل والرشف ما هو مشاهد بالعيان

ومن علم المرسلة منها إذا سافرت ليلا أن تستدل ببطون الودية ومجاري المياه والجبال ومهاب الريح ومطلع الشمس ومغربها فتستدل بذلك وبغيره إذا ضلت فاذا عرفت الطريق مرت كالريح ومن علم اللبب وهو صنف من العناكب أن يلطأ بالأرض ويجمع نفسه فيرى الذبابة أنه لاه عنها ثم يثب عليها وثوب الفهد

ومن علم العنكبوت آن تنسج تلك الشبكة الرفيعة المحكمة وتجعل في أعلاها خيطا ثم تتعلق به فإذا تعرقلت البعوضة في الشبكة تدلت إليها فاصطادتها

ومن علم الظبي أنه لا يدخل كناسة إلا مستدبرا ليستقبل بعينيه ما يخافه على نفسه وخشفه ومن علم النسور إذا رأى فأرة في السقف آن يرفع رأسه كالمشير إليها بالعود ثم يشير إليها بالرجوع وإنما يريد أن يدهشها فتزلق فتسقط

ومن علم اليربوع أن يحفر بيته في سفح الوادي حيث يرتفع عن مجرى السيل ليسلم من مدق الحافر ومجرى الماء ويعمقه ثم يتخذ في زواياه أبوابا عديدة ويجعل بينها وبين وجه الأرض حاجزا رقيقا فإذا أحس بالشر فتح بعضها بأيسر شيء وخرج منه ولما كان كثير النسيان لم يحفر بيته إلا عند اكمة أو صخرة علامة له على البيت إذا ضل عنه

ومن علم الفهد إذا سمن أن يتوارى لتقل الحركة عليه حتى يذهب ذلك السمن ثم يظهر

ومن علم الأيل إذا سقط قرنه أن يتوارى لأن سلاحه قد ذهب فيسمن لذلك فإذا كمل نبات قرنه تعرض للشمس والريح واكثر من الحركة ليشتد لحمه ويزول السمن المانع له من العدو

وهذا باب واسع جدا يكفي فيه قوله سبحانه وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون"

أقول : فسبحان القائل على لسان موسى ((رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى)) ، وهذا جواب موسى لفرعون لما سأله عن ربه ، ودليل الهداية من أعظم أدلة الربوبية وبراهين الألوهية ، فاهتداء كل مخلوق إلى ما ينفعه دليل على وجود الخالق المستحق للعبادة

ويا ليت شعري الحيوانات مع كل هذا لا تصنع ما يضرها في آخرتها إضراراً يوجب عليها التعرض لعذاب النار كما يفعل كثير من بني آدم ويتمنون يوم القيامة لو صار مصيرهم مصير البهائم العجماء

فخاب وخسر من كانت البهائم أحسن حالاً منه في الدنيا فهي تنطلق إلى ما ينفعها وتسبح بحمد ربها ، وأحسن حالاً منه في الآخرة



فأي خيبة وخسران أعظم من أن تكون من صلب من خلقه الله بيده وخلقه على صورته وأسجد له ملائكته ، وأعد للمتقين من أبنائه جنات عرضها السموات والأرض فيضل عن هذا كله ، ثم يصير يتمنى لو كان بهيمة عجماء ويقول (يا ليتني كنت تراباً)

فيا للخيبة والخسران

وهذه البهائم قد نفع العرب صحبتها والنظر في أحوالها ، ومن بني آدم من إذا صاحبته أرداك في الضلالة فهو كنافخ الكير ، وإذا اكتمل خسرانك كنت ممن يقول (يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (28) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا)

فبعداً لمن صحبة البهائم العجماء خيرٌ من صحبته ، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه في زمن الفتن يكون خير مال امريء مسلم غنماً يتبع بها شغف الجبال ومواضع القطر

فتلك أزمنة صحبة البهائم فيها خير من صحبة البشر !

هذا وصل اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم



عنوان المقال

مقال: أ. عمر حسين الخالدي

عوالم معتمة

(جزء أول)

لدى العلماء سببان مستقلان للتفكير في أن الكون يعج بنوع ما من مادة مجهولة المادة المعتمة). وليست النجوم والمجرات والسحب الغازية هي الوحيدة التي تتحرك كما لو كانت خاضعة لثقالة مادة مخفية، بل ثمة عمليات - مثل النشاط الإشعاعي تقدم أحجيات يمكن حلها بافتراض وجود جسيمات مجهولة حتى هذه اللحظة. ويفترض في المادة المعتمة أنها مكونة من ويمياتWIMPs، وهي نوع من الجسيمات لا تتفاعل إلا بالكاد مع العالم المرئي؛ فالشرط الذي لابد من وجوده فيها هو الرتابة والخمول أو هذا على الأقل هو الافتراض السائد. ترى هل يمكن أن توجد للمادة المعتمة في الحقيقة حياة داخلية غنية؟ إن فيزيائيي الجسيمات - وهم يسعون بتحرق إلى فهم مكونات المادة المعتمة يعتقدون أنها قد تستطيع التفاعل بواسطة مجال واسع من القوى التي تتضمن نوعا من الضوء الذي لا تراه أعيننا النظريات بأن هذه المادة قد تمارس فعلها من خلال قوى أخرى أيضا.

في 1846/9/23، تسلم كال (مدير مرصد برلين رسالة كان مقرا لها أن تغير مجرى التاريخ الفلكي. بعث الرسالة شخص فرنسي اسمه لوفرييه وكان يدرس حركة الكوكب أورانوس، وقد توصل إلى أن مسار هذا الكوكب لا يمكن تفسيره بواسطة تأثير القوى التثاقلية المعروفة فيه. واقترح لوفرييه» وجود جسم غير مرصود حتى ذلك الوقت يسبب سحبه التثاقلي اضطرابا في مدار أورانوس يتوافق مع ما يلزم بالضبط لأحداث المشاهدات الشاذة المرصودة . وفي تلك الليلة توجه كال إلى مقرابه، وباتباعه تعليمات د لوفرييه اكتشف الكوكب نبتون.

في الكوسمولوجيا المعاصرة نجد دراما مشابهة تدور أحداثها من جديد هذه الأيام، حيث يرصد الفلكيون حركات كونية غير سوية، ويستنتجون منها وجود مادة جديدة، ويذهبون للبحث عنها.

وفي هذه الدراما يؤدي دور أورانوس نجوم ومجرات تتحرك بطرق يجب ألا تسلكها؛ ويؤدي دور نبتون مواد استنتج وجودها ولكنها لم ترد حتى الآن، وقد سميت مؤقتا بالمادة المعتمة والطاقة المعتمة. وانطلاقا من أنماط الحركات غير السوية التي نشاهدها، يمكننا اكتشاف بضع حقائق أساسية تتعلق بها فالمادة المعتمة تبدو وكأنها بحر من الجسيمات غير المرئية التي تملأ الفضاء من دون انتظام؛ بينما الطاقة المعتمة تنتشر بانتظام وتتصرف كما لو أنها محيكة في نسيج الفضاء ذاته. ومازال يتعين على العلماء تكرار إنجاز گال الذي أبدعه عندما وجه آلة إلى السماء، واستطاع بفضلها أن يلمح بشكل جازم الأجرام السماوية غير المرئية، ولكن هناك علامات مقلقة - مثل النقاط المضيئة التي ترى في كواشف الجسيمات - تواصل تراكمها.

منذ اكتشاف نيتون - انطلاقا من ظهوره كقوة مبهمة تؤثر في أورانوس - تبين انه عالم آسر في حد ذاته، فهل يمكن أن يحدث الشيء نفسه مع المادة المعتمة والطاقة المعتمة؟ يميل العلماء بشكل متزايد إلى ترجيح احتمال ألا تكون المادة المعتمة على وجه الخصوص مجرد اختلاق لتعليل سبب حركة المادة المرئية، بل هي جانب خفي من الكون يمتلك حياة داخلية غنية، وقد يكون هذا الجانب الخفي مؤلفا من حديقة حقيقية من جسيمات تتفاعل مع بعضها

من خلال قوى جديدة غير مألوفة في الطبيعة - أي عالم كامل حِيك بسكون ضمن نسيج عالمنا.

تعتبر هذه الأفكار تخليا عن الإقتراض الذي ساد مدة طويلة والذي مفاده أن المادة المعتمة والطاقة المعتمة هما أكثر المواد نشوزا في الكون. ومنذ استنتاج الفلكيين وجود المادة المعتمة أول مرة في ثلاثينات القرن العشرين ظلوا يعتبرون العطالة هي خاصيتها التعريفية.

وتقترح الأرصاد أن كتلتها أكبر من كتلة المادة العادية بست مرات، فالمجرات وعناقيد المجرات مطمورة في كرات عملاقة - أو «هالات» - من المادة المعتمة. ويعتقد الفلكيون أنه كي تتفادى هذه الكتلة الضخمة من المادة الكشف المباشر، فإنها يجب أن تكون مؤلفة من جسيمات بالكاد تتفاعل مع المادة العادية، يعتقد الفلكيون أن الهالات تكونت في وقت مبكر من تاريخ الكون، ثم سحبت إليها المادة العادية، وبسبب كون هذه المادة قادرة على اتباع مجال واسع من أنماط السلوك، فإنها تحولت إلى بنى معقدة. في حين بقيت المادة المعتمة - نظرا لخمولها - على حالتها البدائية.

وفيما يخص الطاقة المعتمة، يبدو أن دورها الوحيد هو تسريع التمدد الكوني؛ وتشير الدلائل المتوفرة إلى أنها بقيت على حالها دون أن تتغير بتاتا طوال عمر الكون، ومع ذلك فإن إمكانية تفسيرها بشكل صحيح للمادة المعتمة تتوقف على مقدار الموجود منها.

وهنا بالضبط تكمن جاذبية الحجج التي تقدمها فيزياء الجسيمات، فكما هو الحال في أي سلالة من الجسيمات، كان إنتاج الويمپات سيتم خلال الانفجار الأعظم العنيف.

وبالعودة إلى ذلك الحين نجد أن تصادمات الجسيمات العالية الطاقة قامت بتوليد الويمپات وتدميرها، وهذا ما سمح لعدد محدد منها بأن يظل موجودا في أي لحظة معطاة، وهذا العدد كان يتغير بتغير الزمن استنادا إلى أثرين متنافسين أحدهما تمدد الكون. أولهما تبرد الحساء الكوني البدائي الذي خفض كمية الطاقة المتاحة لتوليد الويمپات، وبالتالي أدى إلى نقص عددها. أما الأثر الثاني فكان تخفيف تركيزالجسيمات الذي خفض تكرار التصادمات إلى أن توقف حدوثها بشكل فعال. وعند ذلك -أي بعد الانفجار الأعظم بزهاء 10 نانو ثانية - أصبح عدد الويمبات ثابتا. ولم يتبق في الكون ما يلزم من الطاقة لتوليد ويمبات أو ما يلزم من كثافة تركيز الكتلة لتحطيمها. وانطلاقا من الكتلة المتوقعة للويمپات ومن شدة تفاعلاتها التي تتحكم في عدد مرات إفناء بعضها بعضا، فإن الفيزيائيين يستطيعون أن يحسبوا بسهولة عدد ما يجب أن يتبقى من الويمپات. ومن المثير للدهشة أن هذا العدد يتماشى مع العدد المطلوب لإنتاج المادة المعتمة الكونية الموجودة حاليا ضمن مجال الدقة لتقديرات الكتلة وشدة التفاعل. وقد أطلق على هذا التوافق الجدير بالملاحظة اسم مصادفة الويمپات. وهكذا، فإن الجسيمات التي عرفت نتيجة حل أحجية طرحت قبل قرن في فيزياء الجسيمات، تفسر الأرصاد الكوسمولوجية تفسيرا جميلا. إن الأدلة التي سبق ذكرها تشير أيضا إلى أن الويمپات خاملة، إذ إن إجراء حساب سريع يبين ان نحو بليون من هذه الجسيمات قد اجتاز جسدك منذ بداية قراءتك لهذه المقالة، وما لم تكن محظوظا بدرجة استثنائية لم يحدث أي منها أي أثر يمكن إدراكه. ويمكنك أن تتوقع أنه

خلال عام كامل ستتبعثر واحدة فقط من الويمپات عن النوى الذرية في خلاياك، وتودع فيها كمية ضئيلة من الطاقة.

إن كل ما يعرفه الفلكيون حتى الآن عن المادة المعتمة أتى من تأثيراتها التثاقلية في المادة التي يمكن رؤيتها. ولكن عليهم كشفها مباشرة إذا كانوا يسعون إلى معرفة ماهيتها، وهذا ليس بالأمر السهل: إذ إن المادة المعتمة بالتعريف تتصف بالمراوغة والتملص. ومع ذلك يقوم الاف الباحثين بالبحث عنها يحثهم على ذلك الأمل باكتشاف ما يكون ربُع الكون. وقد ركزوا معظم جهودهم على الويمبات، علما بأن استراتيجيات البحث الشائعة الثلاث هي: التفتيش عن فناء الجسيمات وتبعثرها وتوليدها.

حين يتلاقى اثنان من الويميات، يلغي كل منهما الآخر ويخلفان وراءهما مجموعة من الجسيمات الأخرى كالالكترونات والالكترونات المضادة (التي تسمي بوزيترونات والنترينونات. لا يمكن لمثل عملية الإفناء هذه أن تكون شائعة جدا، وإلا لما وجدت حاليا أية ويميات. ولحسن الحظ، فإن التجارب الحالية حساسة إلى درجة تكفي لملاحظة فناء حتى جزء ضئيل جدا من الويميات. تبحث الكواشف الموجودة على متن الأقمار الصناعية والمناطيد ذات العلو الشاهق عن الإلكترونات والبوزيترونات. ومن المهام المجدولة للمكوك الفضائي في عام **2011** أن يقوم بنقل مقياس الطيف المغنطيسي ألفا إلى المحطة الفضائية الدولية حيث سيقبع من أجل البحث عن البوزيترونات. وثمة مراصد أخرى - مثل Super -kamiokande في اليابان و IceCube في القارة المحيطة بالقطب الجنوبي (أنتاركتيكا) - تقوم بالسعي وراء النترينونات.

لا بد أن المادة المعتمة تتدفق عبر كوكبنا خلال ارتحالها عبر مجرتنا. وفي مناسبات نادرة سيلتقي أحد الويميات مصادفة بنواة ذرية ويجعلها ترتد متراجعة، تماما مثلما تفعل كرة لعبة البلياردو عندما تصدمها الكرة المدفوعة بعصا اللاعب. إن طاقات الارتداد المتوقعة ضئيلة لدرجة يستحيل تقريبا الشعور بها، ولكنها يمكن أن تقع في مجال الكواشف الحساسة.

وتبطئ التقانة القي الاهتزازات الطبيعية للذرات، فتسهل ملاحظة أي ارتداد وتعطينا الطاقة المودعة في الكاشف المفتاح الذي يسمح لنا بالتأكد من الخاصيات الأساسية للمادة المعتمة بشكل راسخ. وقد ادعت تجربتان هما DAMA و CoGeNT بأنهما اكتشفتا إشارة (في الأسفل)، في حين لم تجد تجارب أخرى - مثلXENON و CDMS - أي شيء.

وهذه التجارب - إضافة إلى تجارب جديدة أخرى - تقوم بتحسين حساسيتها بسرعة، وتعد بنتائج مثيرة من هذا الحقل في المستقبل القريب.

قد يكون بالإمكان توليد المادة المعتمة في مصادمات الجسيمات، مثل المصادم الهادروني الكبير في سيرن قرب جنيف، حيث جرى تجربة عملاقة تتصادم فيها البروتونات معا بطاقات عالية جدا. إن توليد مادة معتمة هو العملية العكسية لإفناء مادة معتمة: بمعنى أنه إذا كان بإمكان المادة المعتمة الفناء متحولة إلى جسيمات عادية، فمن الممكن أيضا توليدها بواسطة التصادمات بين جسيمات عادية. وستكون العلامة المميزة التوليد مادة معتمة هي رصد تصادمات يبدو فيها أن الطاقة والاندفاع قد فقدا، فهذا يشير إلى أن بعض الجسيمات غير التفاعلية تولدت ثم تفادت الكاشف دون أن يسجل وجودها. إن هذه التجارب العملاقة التي صممت لكشف النقاب عن أسرار العالم دون الذري قد تختتم باكتشاف النمط المهيمن للمادة في الكون.



عنوان المقال

مقال: الأستاذ احمد الجمال

اطلالة السيرة النبوية.

ستظل سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم هى الرصيد التاريخى الأول لأمتنا الأسلامية التى تستمد منه الأجيال القادمة والمتلاحقة من ورثة النبوة وحملة مشاعل العقيدة زاد مسيرها وعناصر بقائها ، وأصول إمتدادها ، لأنها سيرة عطرة غراء شاملة وجامعة لكافة شئون ومناحى الحياة .

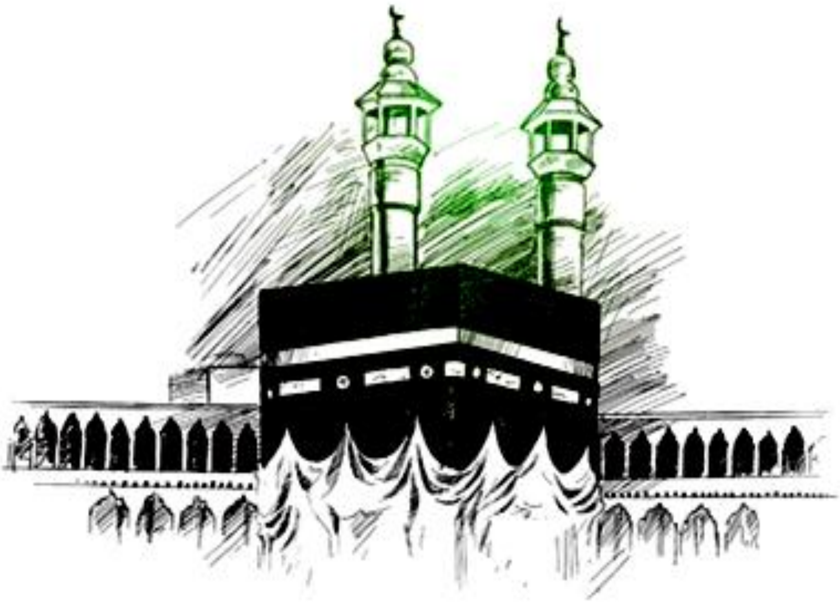
وتأسيساً على ما سبق يسعدنا تقديم هذه السلسلة الموسومة بـ (إطلالة على السيرة النبوية -إعرف نبيك) بصورة مبسطة للقارئ المسلم كى ينهل من فيض سيرته صلوات ربى وتسليمه عليه ويقتضى بفضائل سماته وسجاياه القويمة وكلى أمل ورجاء بأن يقتضى بها شبابنا المسلم داعيا الله ان ينفع بها كل مسلم ومسلمة ويجعلها فى ميزان حسناتى يوم ألقاه .

(فستذكرون ماأقول لكم وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد)

صدق الله العظيم

نسب النبي ومولده:

كان رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- أشرف الناس نسباً وأعظمهم مكانةً وفضلاً، فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وقد تزوّج والد النبي عبد الله من آمنة بنت وهب، ووُلد النبي -عليه الصلاة والسلام- يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول من عام الفيل، وهو العام الذي توجّه فيه أبرهة لهدم الكعبة، إلّا أنّ العرب تصدّت له، وأخبره عبد المطلّب بأنّ للبيت ربٌّ يحميه، فقدم أبرهة مع الفيلة، فأرسل عليهم الله طيوراً تحمل حجارةً من نارٍ أهلكتهم، وبذلك حمى الله البيت من أي أذى، وقد توفي والده وهو حملٌ في بطن أمه على الصحيح من أقوال العلماء، فوُلد الرسول يتيماً، قال -تعالى-: (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى). ،



أربعون عاماً قبل النبوة :

رضاعته:

رضع محمدٌ -عليه الصلاة والسلام- من حليمة السعدية بعد أن قدمت إلى قريش تلتمس أيٍ من الرضعاء، وكان لها ابناً رضيعاً لا تجد ما يسدّ جوعه، ذلك بعد أن رفضت نساء بن سعد إرضاع النبي -عليه السلام- بسبب فقده لوالده؛ ظنّاً منهنّ أن لا تعود عليهنّ رضاعته بالخير والأجر، وبسبب ذلك نالت حليمة السعدية بركةً في حياتها وخيراً عظيماً لم ترَ مثله قطّ، ونشأ محمّد -عليه السلام- بخلاف غيره من الشباب من حيث القوة والشدة، وعادت به إلى أمّه بعد أن بلغ العامين من عمره واستأذنتها ببقاء محمدٍ عندها خوفاً عليه من الأمراض في مكة، وعاد معها بالفعل، وفي أحد الأيام أتاه رجلان ذوي ثيابٍ بيضاء شقّا بطنه واستخرجا علقةً سوداء منه، فكانت حادثة شقّ الصدر، وكان ذلك الأمر الفاصل في عودته إلى أمه.

كفالته:

توفيت والدة النبي -عليه السلام- آمنة بنت وهب وهو ابن ست سنواتٍ، وكانت عائدةً به من منطقة الأبواء؛ وهي منطقةٌ واقعةٌ بين مكة والمدينة، إذ كانت في زيارةٍ لأخواله من بني عدي من بني النجار، فانتقل بعدها للعيش في كفالة جدّه عبد المطلب حيث كان يعتني به اعتناءً شديداً؛ ظانّاً فيه الخير والشأن العظيم، ثمّ توفي جدّه والنبي في الثامنة من عمره، وانتقل بعدها للعيش في كفالة عمه أبي طالب، وكان يأخذه معه في رحلاته التجارية، وفي إحدى الرحلات أخبره إحدى الرهبان بأنّ محمداً سيكون ذو شأنٍ عظيمٍ. رعيه للأغنام عملِ الرسول -عليه الصلاة والسلام- في رعي أغنام أهل مكة، وفي ذلك يقول -عليه الصلاة والسلام-: (ما بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إلَّا رَعَى الغَنَمَ، فقالَ أصْحابُهُ: وأَنْتَ؟ فقالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أرْعاها علَى قَرارِيطَ -جزء من الدينار والدرهم- لأهْلِ مَكَّةَ)، وبذلك كان النبي -عليه السلام- قدوةً في كسب الرزق.
تجارته كانت خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها- ذات مالٍ كثيرٍ ونسبٍ رفيعٍ، وكانت تعمل في التجارة، وحين بلغها أن محمداً رجلٌ صادقٌ في قوله أمينٌ في عمله كريمٌ في أخلاقه استأمنته على الخروج تاجراً بأموالها مع غلامٍ لها يُدعى ميسرة مقابل الأجر، فخرج -عليه الصلاة والسلام- تاجراً إلى بلاد الشام، وجلس في الطريق تحت ظلّ شجرةٍ قريبةٍ من راهبٍ، فأخبر الراهب ميسرة أنّ مَن نزل تحت تلك الشجرة لم يكن إلّا نبياً، وأخبر ميسرة خديجة بقول الراهب، ممّا كان سبباً في طلبها الزواج من الرسول، فخطبها له عمّه حمزة، وتزوّجا.

مشاركته في بناء الكعبة:

عقدت قريش العزم على تجديد بناء الكعبة؛ لحمايتها من الهدم بسبب السيول، واشترطوا بناءها من الأموال الطيبة التي لم يدخلها أي نوعٍ من الربا أو الظلم، وتجرّأ الوليد بن المغيرة على الهدم، ثم شرعوا بالبناء شيئاً فشيئاً إلى أن وصلوا إلى موضع الحجر الأسود، إذ وقع الخلاف بينهم في مَن سيضعه في موضعه، وتراضوا على قبول حكم أول داخلٍ عليهم، وكان الرسول -عليه الصلاة والسلام-، وأشار عليهم بأن يضع الحجر الأسود على ثوبٍ تحمله كل قبيلةٍ من طرفٍ ليضعه في مكانه، وقبلوا بحكمه دون خلافٍ، وبذلك كان رأي الرسول -عليه الصلاة والسلام- عاملاً في عدم تنازع قبائل قريش وعدم خلافها فيما بينها.

في ظلال النبوة:

بداية الوحي كان الرسول -عليه الصلاة والسلام- يخلو بنفسه في غار حراء في شهر رمضان تاركاً كلّ من حوله؛



مبتعداً عن كلّ باطلٍ، محاولاً التقرّب من كلّ صوابٍ قدر ما استطاع، متفكّراً في خلق الله وإبداعه في الكون، وكانت رؤياه واضحةً لا لبس فيها، وبينما هو في الغار جاءه ملكٌ قائلاً: (اقرأ)، فردّ الرسول قائلاً: (ما أنا بقارئ)، وتكررّ الطلب ثلاث مرّاتٍ، وقال الملك في المرة الأخيرة: (اقرأ باسم ربك الذي خلق)، فعاد إلى خديجة وهو في حالة فزعٍ شديدٍ ممّا حصل معه، فطمأنته، وفي ذلك روت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-: (أَوَّلُ ما بُدِئَ به رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ في النَّوْمِ، فَكانَ لا يَرَى رُؤْيَا إلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، فَكانَ يَأْتي حِرَاءَ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ، وهو التَّعَبُّدُ، اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ، ويَتَزَوَّدُ لذلكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إلى خَدِيجَةَ فَتُزَوِّدُهُ لِمِثْلِهَا، حتَّى فَجِئَهُ الحَقُّ وهو في غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فِيهِ، فَقالَ: اقْرَأْ، فَقالَ له النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: فَقُلتُ: ما أنَا بقَارِئٍ، فأخَذَنِي فَغَطَّنِي حتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمَّ أرْسَلَنِي فَقالَ: اقْرَأْ، فَقُلتُ: ما أنَا بقَارِئٍ، فأخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمَّ أرْسَلَنِي فَقالَ: اقْرَأْ، فَقُلتُ: ما أنَا بقَارِئٍ، فأخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمَّ أرْسَلَنِي فَقالَ: {اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الذي خَلَقَ} [العلق: 1]- حتَّى بَلَغَ - {عَلَّمَ الإنْسَانَ ما لَمْ يَعْلَمْ} [العلق: 5]). ثمّ أخذت به خديجة -رضي الله عنها- إلى ابن عمّها ورقة بن نوفل، وكان شيخاً كبيراً لا يُبصر يكتب الإنجيل بالعبرية، وأخبره الرسول بما حصل، فقال ورقة: (هذا النَّامُوسُ الذي أُنْزِلَ علَى مُوسَى، يا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، أكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: أوَمُخْرِجِيَّ هُمْ فَقالَ ورَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بمِثْلِ ما جِئْتَ به إلَّا عُودِيَ، وإنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا)،[ثمّ توفي ورقة، وانقطع الوحي عن الرسول -عليه الصلاة والسلام- فترةً من الزمن، وقيل إنّها استمرت لأيامٍ فقط، والغاية من ذلك طمأنة الرسول وتشويقه للوحي مرةً أخرى، إلّا أنّ النبي -عليه السلام- لم ينقطع عن الخلوة بنفسه في غار حراء، بل استمرّ على ذلك، وفي إحدى الأيام سمع صوتاً من السماء وكان جبريل -عليه السلام-، ونزل بقول الله -تعالى-: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ)، وبذلك أمر الله -تعالى- نبيّه بالدعوة إلى توحيده وعبادته وحده.





عنوان المقال

مقال: د. طارق السرحان

برهان الامكان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد.

يُعَد برهان الإمكان من البراهين الضرورية القطعية، وسبب ذلك امران : انه معتمد على تعريفات او تصورات أولية لا يمكن إنكارها، كما ان إنكاره سيؤدي إلى تناقض والتناقض مستحيل.

وسأقوم بهذه العجالة بشرح هذا البرهان بأبسط صورة ممكنة إن شاء الله .

والبرهان يقول : الكون ممكن، ولكل ممكنٍ سبب إذن للكون سبب .

وعندنا مقدمتان هنا :

الاولى: أن الكون ممكن الوجود ، ومعنى ممكن الوجود يعني لا يوجد في العقل ما يجعل وجوده لازماً، يعني قد يكون موجودا وقد لا يكون موجودا، بعكس الاشياء الواجبة عقلاً والاشياء المستحيلة، ونضرب مثالا على كل منها ليتضح قصدنا ، فلو قلنا : المثلث له اضلاع ثلاثة، فإن الاضلاع الثلاثة واجبة الوجود بالنسبة لهذا المثلث، يعني لا يمكن ان يوجد مثلث إلا وله 3 اضلاع ، ولو افترضنا ان هناك مثلثاً باربعة اضلاع لصار معنى الكلام : شكل بثلاثة اضلاع بأربعة أضلاع بنفس الوقت ، وهذا تناقض، إذن يجب ان يكون المثلث بأضلاع ثلاثة، وقولنا مثلث باربعة اضلاع مستحيل ، او قد نسميه غير ممكن الوجود، اما الشمس فإنها قد تكون موجودةً وقد لا تكون موجودة، فنسميها ممكنة الوجود، وإذا نظرنا للكون مرة ثانية فإننا نقول : هو ممكن الوجود، يعني لا يوجد في العقل ما يوجِب وجوده ولا يوجد في العقل ما يوجِب عدمه.

وممكن الوجود تتساوى احتمالات وجوده وعدمه، يعني 50% احتمال وجوده و 50% احتمال عدم وجوده، إذن يجب ان يكون في حالة لا وجود ولا عدم بل في منطقة ما في المنتصف، ولكن هذا مستحيل لانه رفع للنقيضَيْن وهذا مستحيل، إذن يجب ان يكون موجوداً او معدوماً ولكن بسبب يرجِّح احد الاحتمالين على الاخر، فإذا كان معدوماً فإن السبب هو انعدام السبب اصلاً ، وإذا وجد فلا بد من سبب رجّح احتمال الوجود، ولا ينتقل الكون من الوجود إلى العدم او من العدم إلى الوجود إلا بسبب يرجِّح احد الاحتمالين.

الثاني: كل ممكن يحتاج سبباً : معنى هذا الكلام ان الممكن لما تساوت احتمالات وجوده وعدمه فإنه لا بد من وجود شيء آخر يرجِّح احد الخيارين، فالكون كان معدوماً بسبب انعدام السبب، ولكن لما وُجِدَ فلا بد له من سبب آخر يرجح وجوده، ولو افترضنا انه وجد من غير سبب فقد صار احتمال الوجود غير مساوٍ لاحتمال العدم، وهذا فيه مخالفة لتعريف الممكن، يعني صار الكون واجب الوجود، وهذا غير صحيح لأننا سبق انً قلنا انه ممكن، ومخالفة معنى

الممكن مستحيلة هنا لأننا نخالف التعريف، وإذا قال إنسان : وما المشكلة في مخالفة التعريف ؟ قلنا له : لأننا سبق أن اتفقنا أن الكون ممكن الوجود ولا يوجد ما يوجب وجوده ولا ما يوجب عدمه، فإذا خالفت هذا الكلام فقد وجب عليك ان تقول ان الكون (يجب) عقلاً ان يوجد، أو يجب (عقلاً) ان يبقى معدوماً، وكلا الامرين باطل، اما الثاني فباطل لأن الكون موجود الآن ولو كان يستحيل وجوده لما وجِد، ولكنه وجد إذن لا استحالة في وجوده، واما الأول فباطل لأنه لا يوجد في العقل أمرٌ يجعل وجود الكون لازماً، بكلمة أخرى : لا يوجد تناقض إذا افترضنا أن الكون غير موجود إذن لا يصح الاحتمال الأول.

فيتحصل من هذا الكلام : الكون ممكن وكل ممكن فله سبب= إذن للكون سبب.

إلى حد هذه اللحظة فإن هذا الدليل يشير إلى وجوب وجود سبب أو صانع أو خالق للكون، وان وجود هذا الكون لا يمكن أن يأتي بلا سبب.

فإن قيل : وما الدليل ان هذا السبب هو إلهكم ؟

قلنا : إننا بعد بيان البرهان الضروري الدال على وجود الخالق نبدأ بعدها ببيان عدة نقاط أهمها :

أولاً : إن معنى قولنا (الله) اي خالق كل شيء، ولهذا فإنك إن قلتَ في صلاتك (يا الله ارحمني) او قلتَ (يا خالق كل شيء ارحمني) فقد عبّرتَ عن نفس المعنى ودعائك سليم، ولا فرق في المعنى بين الدعائَيْن، وعليه فإننا نُرجع عباداتنا وصلاتنا وإلى ذلك الذي خلق كل شيء، فإذا قيل : وكذلك الأمر عند باقي الأديان، فالهندوس مثلاً يعبدون(براهما) ويقولون انه خالق كل شيء، فهل ذلك الخالق هو الله أو براهما، قلنا : إن الهندوس عند قولهم ان الخالق هو براهما فإن الخلاف بيننا وبينهم على أمرين الآن: اولاً خلاف بالتسمية وهذه ليست مشكلة من حيث المبدأ، الثاني : خلاف في التصور، اقصد انهم يتصورون الخالق بصفات أو اشكال معينة نخالفهم فيها، وعندها ينتقل الحوار بيننا وبينهم في ما يصح أن يوصف به ذلك الخالق وما لا يصح والحكم هو البراهين العقلية.

ثانياً : إننا في مباحث النبوات، نقوم ببحث كيفية صدق الانبياء واتصالهم بذلك الخالق سبحانه، بمعنى اننا في النبوات نقوم ببيان أن ما جاء به الرسل والأنبياء لا يمكن أن يكون إلا من خلال خالق الكون سبحانه، وعليه فيصح ربطنا للأنبياء بذلك الخالق الذي خلق كل شيء، وسنمر على مباحث النبوات بشرح أكبر إن شاء الله.

هذا هو " برهان الإمكان" وهو برهان ضروري معتمد على مفاهيم أولية بسيطة إذا خالفتها فسوف تقع بالتناقض، والتناقض مستحيل إذن يستحيل أن تكون نتيجة البرهان غلط، ولهذا السبب يسمي الفلاسفة والعلماء الخالق بأنه واجب الوجود، ويقصدون بهذا أن وجوده سبحانه واجب، واجب لأنه التفسير المنطقي الوحيد لوجود العالم، وواجب ايضاً لتجنب التناقض، فإذا افترضنا عدم وجوده فسوف نقع بالتناقض.

فإن قيل: كيف تقول ان إنكار وجود الخالق تناقض، وقد انكر وجوده عدد كبير من الفلاسفة ؟ فهل كل اولئك واقعون بالتناقض ايضاً؟! قلنا : إن من انكر وجود الخالق هم العدد الأقل من الفلاسفة وليسوا عدداً كبيراً، ثم إننا في هذا المباحث لا نعتمد على الاكثر ولا الاقل كما أننا لا نعتمد على سمعة الفيلسوف او العالِم، فلا وزن في حقيقة الحال لأسماء الاشخاص في ميدان الحقائق، بل الوزن للبرهان نفسه، وهذا مع كل الاحترام والتقدير للجميع.



عنوان المقال

مقال: أ. د إبراهيم طلبة

فلسفة الجمال في التصور الاسلامي

الحمد لله رب العالمين، خلق الإنسان في أحسن تقويم، وأحسن نظام الكون واتساقه، وجعل الجمال شارة للمسلم في سلوكه وأخلاقه، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين، وبعد،،،،،

فإن قضية الجمال شغلت المفكرين والفلاسفة على امتداد الحضارات والثقافات، نظراً للامتدادات والتشعبات التي ترتبط بقضية الجمال، وتداخلها مع كثير من المحاور الفكرية .

ولا يغيب عن الذهن تأثير المنظور الفلسفي للجمال على كثير من مناحي الثقافة؛ خاصة الفلسفة الغربية الحديثة التي روّجت لنظريات وأفكار أنتجت فناً مجرداً من القيم والمبادئ الأخلاقية، وأدباً غير ملتزم بالقيم الأدبية تحت دعوى حرية الأديب والفنان ليبدع في عطائه الفني والأدبي، ومن ثمّ توسل الجميع بمقولة "الفن للفن والجمال للجمال" على الرغم من تداعياتها على الإنتاج المعرفي والفكري.

وفي ثقافتنا الإسلامية المعاصرة ومع عوامل الركود والتراجع الفكري تخيلنا أن ثمة قطيعة مفهومية ومعيارية مع الجمال وشرائطه ومقاييسه بل في خصومة مع الجمال كله.

بيد أن المتأمل في ثقافتنا الإسلامية الأصيلة، وفي مصادرها العظيمة الكتاب والسنة لا يجهده البحث في العثور على منظومة متكاملة حول الجمال، وفلسفة تؤكد التصور الصحيح والرؤية المثمرة حول الجمال؛ ليكون سبيلاً من سبل الإبداع، وطريقاً من طرق المساهمة الحضارية الفاعلة، والارتقاء المعرفي بالعقل الإنساني.

وفلسفة الجمال في التصور الإسلامي تأتي متساوقة مع الفطرة الإنسانية، متوافقة مع طبيعة الإنسان وخلقته، مرتبطة أشد الارتباط بالجمال الإلهي، غير مفرغة للجمال من قيمته ووظيفته ومنفعته، موازنة بين جمال الظاهر والباطن، مقيدة الجمال بالحق والخير والمبادئ الأخلاقية.

والأمر الذي نؤكد عليه أننا بحاجة أن نقدم هذا الدين للعالمين، ونبرز فلسفته ومنهاجه للبشرية؛ لإبراز عظمة الدين، والشريعة الغراء؛ ليزداد تمسكنا به واعتصامنا بحبله.

وسنحاول جاهدين من خلال هذه المقالاتأن نقدم فلسفة الإسلام الجمالية التي يفوق بها الفلسفات الأخرى، والتي أدّت إلى كثير من السوءات في الميدان الفكري والثقافي، فما أحوجنا إلى تمثل منهج الإسلام والاحتكام إليه، والانطلاق من هديه؛ لنصحح مسارنا الفكري، ونضبط عطاءنا الثقافي، ولنضع لبنة صالحة في تعليم العالمين، وإرشاد التائهين، وهداية الضالين.

ومن الأمور المقررة أن موضوعات الفلسفة قسمت – حسب الدراسات الفلسفية التقليدية – إلى ثلاثة مباحث أساسية، هي مبحث الوجود، ومبحث المعرفة، ومبحث القيم.

ويتحدد مبحث القيم في ثلاثة موضوعات أساسية – هي بحسب الترتيب التقليدي – الحق والخير والجمال. وهي موضوعات ثلاثة علوم هي: المنطق والأخلاق والجمال.

فمبحث القيم أو "الاكسيولوجيا" من المباحث الأساسية في الفلسفة الذي يختص بدراسة القيم المطلقة (الحق ، الخير، الجمال). أما البحث في هذه القيم فمن شأن العلوم المعيارية الثلاث: علم المنطق،فلسفة الاخلاق،فلسفة الجمال. يبحث علم المنطق في الحق ويتكفل بوضع القواعد التي تعصم مراعاتها العقل من الوقوع في الخطأ. أما فلسفة الأخلاق فتتناول الخير وتسعى لتوضح الغاية التي يتوخاها الناس من أعمالهم من خلال تبيان معنى الخير والشر، وما ينبغي أن تكون عليه المعاملة بين الناس. أما البحث في معنى الجمال وشروطه وما ينبغي أن يكون عليه الشيء الجميل فهو من أبحاث فلسفة الجمال.

وهذه القيم الثلاث، الحق والخير والجمال، إنما ترد إليها الأحكام التقديرية من جهة إنها غايات قصوى تطلب لذاتها، وليست وسائل لتحقيق غايات، فضلا عن أنه منها تتفرع القيم الأخرى

وتسمى هذه العلوم الثلاثة بالعلوم المعيارية، لأنّها تُعنى بما ينبغي أن يكون، في مقابل العلوم الوضعية التي تعنى بما هو كائن، فالجمال علمٌ معياري؛ لأنّه يبحث في قسمه النظري العام عن "الصفات المشتركة بين الأشياء الجميلة التي تولّد الشعور بالجمال، فيحلِّل العِلْمُ هذا الشعور تحليلاً نفسياً، ويفسِّر طبيعة الجمال تفسيراً فلسفياً، ويحدِّد الشروط التي يتميَّز بها الجميل من القبيح، فهو إذن علمٌ قاعدي أو معياري كالمنطق والأخلاق، فكما أنَّ المنطق يحدد القوانين التي يعرف بها الصحيح من الفاسد، والأخلاق تحدد القوانين التي يعرف بها الخير من الشر، كذلك علم جمال يحدد القوانين التي بها يتميز الجميل من القبيح"

ولذلك أصبح الجمال عند الفلاسفة "صفة تلحظ في الأشياء وتبعث في النفس سروراً ورضىً. والجمال من الصفات ما يتعلق بالرضا واللطف، وهو أحد المفاهيم الثلاثة التي تُنسب إليها أحكام القيم أعني الجمال والحق والخير. قال"كانط": الجمال هو ما يبعث في النفس الرضا دون تصور أي ما يُحدث في النفس عاطفة خاصة تسمى بعاطفة الجمال. والجمال والقبح بالنسبة إلى الانفعال كالخير والشر بالنسبة إلى الفعل، والحق والباطل بالنسبة إلى العقل. والجمال مرادف للحسن وهو تناسب الأعضاء"

ولذا يقول "مالرو": "فكرة الجمال – وهي من أكثر أفكار علم الجمال غموضاً – ليست بغامضة إلاّ في علم الجمال نفسه"

وعلل بعضهم صعوبة التعريف بأن "الجمال معنى من المعاني فهو لا يقوم بنفسه، وإنما يقوم بغيره حيث نستطيع رؤيته في الانسان وفي الأشياء والأفعال والتصرفات، إنه الحيوية التي لها إمكانية دخول المجالات كلها مادية كانت أم معنوية، وقد تكون في مادة الشيء وحقيقته، وقد تكون في ظاهره وصورته، وهو الذي يسهم في كمال الأشياء ظاهراً وباطناً، ومادام الجمال معنى فليس بالإمكان ضبطه بالوصف أو الكم أو الكيف، الأمر الذي يحول دون إنتاج تعريف له، وهناك عامل آخر يؤخر عملية الإنتاج هذه هو اختلاف الأفراد في تقديرهم للجمال وكذلك في درجة تذوقهم له، وهذا ما دفع بعض كبار فلاسفة الجمال إلى تعريفه بالآثار المترتبة عليه"

وقد يتدخل الذهن في تقويم الجمال ووضع شروط له ومقاييس، ولكنه ليس هو الذي يقدّر في الحقيقة، فهو حين يقوم بوضع الشروط والمقاييس يستمدها في الحقيقة من البداهة الطليقة التي تدرك الجمال لأول وهلة ودون تفكير... وإذا كانت البديهة هي الموكلة بالجمال- لا الذهن- فمن العسير أن توضع له القواعد الحاسمة وترسم له الحدود القاطعة كالقضايا الذهنية أو الفلسفية الخالصة"

وعلى النقيض يرى البعض أنه إذا كان في إمكاننا أن نصدر أحكاماً شاملة أو أن نضع قواعد عامة تيسر لنا الحكم في قضايا الجمال فلابد أن نستمد تلك الأحكام والقواعد من البداهة التي تتذوق الجمال دون الاعتماد الكلي على مقاييس الذهن الخالصة وأحكامه القاطعة بمعزل عن الحسّ الباطني الموكل بتذوق الجمال، ومن هنا ارتبط مفهوم الجمال بالجانب العاطفي والشعوري من الانسان فنحن "في مجال البحث الجمالي أمام ظاهرة تستعصي على التعريف ما دمنا في مجال الوجدان والشعور لا في مجال العقل والقضايا المنطقية"

وعلى هذا يعرف معجم ״لالاند״ فلسفة الجمال على أنها: "علم موضوعه الأحكام التقويمية الذي ينطبق على التفريق بين الجميل والبشع"

بهذا نعلم بأن فلسفة الجمال هو علم معياري تماماً مثل المنطق أو علم الأخلاق، ولكن ما يجعله أشد عسراً هو موضوعاته التي لا تتسم بالتقنين الموضوعي، بل إنها ذاتية، كما أن هذه الأحكام مرهونة بخصوصية الثقافة والتاريخ

ولقد اختلف الفلاسفة في جوهر (الجمال): أي الإجابة على ما هو الجميل؟ وما هي الشروط التي ينبغي توفرها في الشيء حتى يحق لنا أن نقول عنه جميلاً؟ وهل لابدّ أن يكون الجميل خيراً؟ وغير ذلك من الأسئلة التي تم تناولها في الفلسفة...!

وعرّف المجال الذي يحاول أن يجيب على هذه التساؤلات بالاستطيقا (أو فلسفة الجمال) Aesthetics، وهي مفردة يرجع أصلها إلى اللغة اليونانية القديمة، وتعني المعرفة الحسية أو الصورة الأولية لها، وأول من ذكر مفهوم الإستيطقا في الفلسفة الحديثة هو الفيلسوف ألكسندر قوتليببومغارتن في كتابه "تأملات فلسفية"، ويعود مفهوم الاستيطقا (علم الجمال) في أصله إلى اللغة اليونانية، وهو مشتق من كلمة Aisthesis ، وعلم الجمال كما يعرفه بومغارتن هو علم يبحث في شروط إمكان الجميل ومقاييسه ونظرياته وتصوراته

ولقد تضاربت الآراء في تعريف (الجميل) واختلفت مشارب الفلاسفة في ذلك، كل على حسب نسيجه الفكري، هيراقليطس الذي تصور الكون صيرورة لانهائية بين أضداد متصارعة رأى أن الجمال هو الانسجام الذي ينظم الكون في هذا الصراع الدائم، ويشير الأستاذ ف. أسموس إلى "أن الفكرة الأساسية التي طوّرها هيراقليطس في ميدان علم الجمال تقول إن الجمال هو تعبير عن انسجام الأضداد"

ولا غرابة أن ينحو الفن منحى الجمال في الكون، فتغدو الفكرة المركزية فيه هو التضاد كما نرى ذلك واضحاً في التراجيديا الإغريقية.

كما أن سقراط (أو بالأحرى سقراط أفلاطون) تساءل في محاورة "هيبياس الأكبر" عمّا هو الجميل؟ ثم أخذ ينتقل بأسلوبه الحواري الشهير من فكرة إلى أخرى حول فلسفة الجمال، وهي أفكار على ما يبدو كانت شائعة في الفكر الإغريقي آنذاك، فتساءل إن كان الجميل هو المتناسب المنسجم أو هو الخير العادل أو هو النافع الصالح؟... وفي سياق حواره مع "هيبياس" خلص إلى نتيجة مفادها بأن من الصعب أن نبتّ في مسألة الجميل، لذا ختم المحاورة بمثال يقول: "الأشياء الجميلة صعبة"، رغم أنه في محاورة "فيليبوس" بدا أنه يؤيد الرأي القائل بأن الجميل هو المتناسب المنسجم بوصفة درجة وسيطة بين الرزانة والحكمة

ونجد لدى تلميذه أفلاطون آراءً أوضح في الجمال والفن، وإن لم تكن تامة الوضوح، يرى أفلاطون بأن الفنون تكتسب جمالها وفقاً لمقدار محاكاتها للطبيعة، والتي هي في الأساس محاكاة ناقصة تشدو إلى عالم "المُثُل" – عالم العقل المطلق لدى أفلاطون، لذا هذا يجعل الفن "تقليد التقليد"لدى أفلاطون، ولعلّ هذا يفسر لنا حملته الناقدة للفنانين، وطردهم من "الجمهورية"، ولم يبق إلا على أنواع معينة من الشعر لغرض التربية والتعليم.

لقد نظر أفلاطون إلى الجمال بأنه ملكة مثالية لا يمكن إدراكه بالمعارف الحسية، وفسر الجمال على أنه "التوحيد بين الجمال وبين المثال العقلي، الذي يتجلى في التناسب والائتلاف الهندسي"

ورغم أن تلميذه أرسطو الفيلسوف الأبرز ذهب إلى نفس الرأي فيما يتعلق بأن جمال الفن هو محاكاة للطبيعة إلا أنه أسند له دوراً ريادياً في تطهير النفوس من الانفعالات الضّارة.

فأرسطو فسر الفن بأنه محاكاة، لكنه لم يقيده بالمثل، بل وجده يرتقي من محاكاة ما هو كائن إلى ما يجب أن يكون، لذلك فهو يعتبر الجمال موضوعي، أي أن له وجود خارجي يدركه العقل بخصائص موضوعية، ومن أهم صفات الجميل عند أرسطو: الترتيب والتناسق والوضوح والغائية والوحدة، لذلك أرسطو أدرك أن الجمال سمو رؤيوي وارتقاء على الواقع

أما في الفلسفة الحديثة، فمن أهم من تطرق لموضوع الجمال بالنقد والتحليل، هو الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط ، الذي خصص له كتاب خاص وهو كتاب "نقد ملكة الحكم"، فكانط جرد الجميل من ماديته، وفصل شكل الجميل عن محتواه، مضخما من أهمية الشكل، وقسم الفن إلى قسمين: الممتع والجميل. وهكذا، فإن العملية الإبداعية عملية إستطيقية، ترجع في أساسها إلى الذات المبدعة لا إلى المادة الجمالية، وفي هذا الصدد يقول كانط: ”الجمال هو ما يمكننا أن نتمثله خارج أي مقولة من مقولات ملكة الفهم، باعتباره موضوعاً للذة عامة، ولتقدير الجمال حق قدره لابد من امتلاك عقل مثقف“

ويرى فريديرك هيجل أن الجميل هو تجل محسوس لما هو روحي، ورؤية حسية للفكرة، لذلك فهيجل ركز على المحتوى أكثر من الشكل، وبما أن هيجل يعتبر الفن هو التعبير الحسي عن الروح المطلق فهو يتناول المظهر الدال على الجوهر، ويلعب دور الوسيط بين الواقع الحسي والفكر الخالص، ويرد الواقعي إلى المثالية، ويرتفع به نحو الروحانية"

ووفقا لجدلية الروح المطلق حيث يمر بثلاث مراحل، فإن الفن أيضا يمر بثلاث مراحل وهي: مرحلة الفن الرمزي (فن العمارة في الحضارات القديمة مثل : الحضارة الفرعونية، و حضارة بلاد الرافيدين في العراق، وحضارة بلا السند في باكستان...)، ومرحلة الفن الكلاسيكي (فن النحت في الحضارة الإغريقية والرومانية...)، وفي الأخير مرحلة الفن الرومانسيأوالرومانتيكي (فن الرسم والشعر والموسيقى وهذه الفنون ميزت الحضارة الغربية الحديثة). وهكذا فإن الفكر عند هيجل هو عبارة عن شيئين متحدين هما: أولاً: جوهر الأشياء الخارجية ويتجلى في الطبيعة، وثانياً: الجوهر الكلي للأشياء الروحية مثل الرغبة...إلخ، لكن هذه الثنائية الأشياء الخارجية والأشياء الروحية (الميتافزيقيا)، ترتد إلى وحدة الفكرة المطلقة.

يقول ولترتستيس: "لقد نظر الاستطيقيون إلى الجمال على أنه الهدف الوحيد للفن. وهم على حق في ذلك. ولا يصح ذلك إلا إذا استخدمت كلمة "الجمال" بمعنى واسع إلى أقصى حد."

ثم استعمل مصطلح "الجمالية" في الأدب الحديث للدلالة على أن "الجمال" هو القيمة الأولى للنص، وأنه لا عبرة بما لم يُبْنَ على ذلك؛ إذ الوظيفة الأولى للنص هي أن يكون جميلا"، ومجمل القول أن الفلسفات المختلفة منذ القديمقدّمت تصوّراتها في الفن والجمال. فجاءت هذه التصوّرات مضطربة متناقضة. فالجمال عند أفلاطون يُرَدُّ إلى المثل الخالد وهو من بقايا ذكريات الروح، ويفسّر ذلك بنظرية المحاكاة. وأما أرسطو فنقض نظرية المحاكاة وعالم المثل واهتم بالواقع، وكان الجمال عنده تناسق التكوين، وازداد الاضطراب مع الزمن. فربط " بومجارتن" في القرن الثامن عشر الجمال بالحسّ والشعور، ووضع مصطلح "الاستطيقا Aesthetics ". والجمال عند "ديدرو" مبعثه إدراك العلاقات بين الأشياء وفرّق بين الجمال واللذّة. وجاء " كانت" ليدفع الفلسفة المثالية في الفنّ وفي الأدب والنقد دفعاً قوياً لتنتشر في أوروبا وأمريكا، وليعتبر الفنّ غاية في ذاته. فالعمل الفنيّ عنده له وجوده المستقل في ذاته. وتأثّر بهذه المدرسة كثيرون، منهم "مدام دي ستايل" و"فكتور كوزان" و"تيوفيلجوتييه". و"جوتييه" هو الذي يقول: "لا وجود لشيء جميل حقاً إلا إذا كان لا فائدة له. وكلّ ما هو نافع قبيح". ويرى "فيخته" الألماني، وهو تلميذ " كانت"، أن الفنّ هو تحرير الذات.

ويقول الفيلسوف الألماني شوبنهاور: إن الجمال هو في التأمل الخالص روحيّاً دون أن نمزج به إرادتنا، فألغى إرادة الإنسان. ومضى هيجل في الفلسفة المثاليّة، ورأى أن الجمال له وجوده المستقلّ، فيخالف الجمالُ بذلك الحقيقة. فالجمال له وجود حسِّي عنده، والحقيقة لها وجود ذهني.



وجاء بعد ذلك "بندتوكروتشيه" الذي يرى أن الفنّ ليس محاكاة للطبيعة بل هو مستقل عنها، والعمل الفنّي ليس ثمرة العاطفة والشعور، ولكنه نتيجة ذكاء وفكرة وإرادة. ثم جاء "ت. إس. إليوت" وغيره ممن زادوا تناقض الأفكار واضطرابها حول الفن والجمال

من خلال ما سبق يتضح لنا أن الجمال مبحث مهم من مباحث الفلسفة، وتضاربت الآراء والمنطلقات في تصوره؛ لكن ما نحاول التأكيد عليه تميز التصور الإسلامي للجمال.

فمما لا شك فيه أن من الأمور التي فطرت عليها النفس البشرية حب الجمال بأنواعه: جمال النفس جمال الروح جمال المظهر جمال التصرفات والأفعال.... الخ .

وإذا كان الجمال هو كل شيء حسن، ويدخل على النفس بهاءً وجمالاً فإن فلسفة الجمال في الإسلام أضافت أبعاداً أخرى للجمال وأكدت عليها فاقت بها الحضارة الغربية. قال الغزالي رحمه الله: "كل شيء جماله وحسنه في أن يحضر كماله اللائق به الممكن له، فإذا كان جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال، وإن كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر".

ويفرق العسكري بين الحسن والجمال فيقول: "إن الْجمال هُوَ مَا يشْتَهر ويرتفع بِهِ الْإِنْسَان من الأفعال والأخلاق وَمن كَثْرَة المَال والجسم وَلَيْسَ هُوَ من الْحسن فِي شَيْء أَلا ترى يُقَال لَك فِي هَذَا الْأَمر جمال وَلَا يُقَال لَك فِيهِ حسن، وَالْحسن فِي الأَصْل الصُّورَة ثمَّ اسْتعْمل فِي الْأَفْعَالوالأخلاق وَالْجمال فِي الأَصْل للأفعال والأخلاق وَالْأَحْوَال الظَّاهِرَة ثمَّ اسْتعْمل فِي الصور"

وعلى هذا فكل ما قاله الفلاسفة والعلماء في تعريف الجمال لايعدو أن يكون تقريبًا لمعناه، على سبيل المثال، فإنّ الشريف الجرجاني يُعَرِّفُه بقوله: "الجمال من الصفات: ما يتعلّق بالرضا واللطف"

فالجمال عنده صفة أو صفات تتعلّق بالرضا واللطف، وذلك جانب من جوانب الجمال، لأن مشاهدة الجمال وتَغَلْغُلَ آثاره في النفس يتولّد منه الرضا والسرور والراحة النفسية .

ويُعَرِّفُ الراغب الأصفهاني الجمالَ بقوله: "الجمال الحسن الكثير فهو هنا يعرّف الجمال بالجمال، أو يعرّف اللفظ بمرادف له، ولكي يبرز الأصفهاني قيمة الجمال فإنه استعمل كلمة "الكثير" على أن ميزان الجمال دقيق وحساس، وليس من السهل تقدير الجمال أو قياسه، إذ أن قيمته تندرج في طبيعته ولا تنفصل عن ذاته، حتى أن أثر الجمال في نفس المشاهد له، المنفعل به لا يخضع لتقدير أو قياس فهو شعور داخلي قد يترجمه صاحبه في عبارات أو إشارات، وقد يظهر في لغة الملامح والتقاسيم

ويُعَرِّف ابن حزم الأندلسي الحسن بقوله: "الحسن هو شيء ليس له في اللغة اسم يُعَبَّرُ به عنه، ولكنه محسوس في النفوس باتفاق كل من رآه، وهو بُردٌ مكسوّ على الوجه، وإشراق يستميل القلوب نحوه، فتجتمع الآراء على استحسانه، وإن لم تكن هناك صفات جميلة، فكل من رآه، راقه واستحسنه وقبله، حتى إذا تأملت الصفات أفرادًا لم تر طائلاً وكأنه شيء في نفس المرئي يجده نفس الرائي. وهذا أجلّ المراتب ثم تختلف الأهواء بعد هذا، فمن مفضل للروعة، ومن مفضل للحلاوة وما وجدنا أحدًا قط يفضل القوام المنفرد"

وفي ظل التأثر بالفلسفة الغربية ومنطلقاتها في معايير الجمال وشروطه وإطلاقاته؛ فإننا يمكننا أن نلمس تميز التصور الإسلامي للجمال وفلسفته، في الجزء الثاني من مقالنا.



عنوان المقال

مقال: أ. عمرو شريف سرور

كتاب شمس المعارف الكبري هل هو كتاب سحر أم خزعبلات صوفية؟

(ملحوظة هذا بحث سريع جدا و ملخص و إلا فالموضوع إن أردنا تفصيله يحتاج إلي كتاب لسرد و شرح الأدلة)

بسم الله والحمد لله و الصلاة و السلام علي رسول الله صلي الله عليه و سلم

أما بعد :

اسمحوا لي أولا أن نقعد بعض القواعد المهمة في التعامل مع الغيبيات قد يعلمها بعضكم و لكنه يفعل عكسها و قد لا يعرفها لابعض الأخر ..

نحن كمسلمون نؤمن بوجود السحر و المس و العين و الملائكة و الجن و اللوح و العرش و الجنة و النار ليس لشئ إلا لأن الله أخبرنا بذلك .. فإن سألتني : ما الدليل علي وجود السحر ؟ سأرد عليك ب قال تعالي " فإذا حبالهم و عصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعي " .. " و لكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر " و ما ذكره البخاري و مسلم و غيرهما من حديث عائشة رضي الله عنها قال : " سحر النبي عليه الصلاة و السلام حتي كان يخيل إليه أنه يفعل الشئ و ما يفعله .. إلخ "

و إن سألتني : ما الدليل علي وجود الجن ؟ فسأرد عليك بقوله تعالي " و ما خلقت الجن و الإنس إلا ليعبدون " .. " والشياطين كل بناء و غواص و آخرين مقرنين في الأصفاد " .. " يعملون له ما يشاء من محاريب و تماثيل و جفان كالجواب و قدور راسيات " .. و حديث النبي عليه السلام عند مسلم من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال " قام رسول الله عليه السلام فسمعناه يقول أعوذ بالله منك ثم قال ألعنك بلعنة الله ثلاثا و بسط يده كأنه يتناول شيئا فلما فرغ من الصلاة قلنا : يارسول الله قد سمعناك تقول في الصلاة شيئا لم نسمعك تقوله قبل ذلك و رايناك بسطت يدك قال : " إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي فقلت " أعوذ بالله منك ثلاث مرات ثم قلت ألعنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثلاث مرات ثم أردت أخذه والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقا يلعب به ولدان المدينة "

و كذا في الملائكة و العرض و الجنة و النار .. إن سألتني عن أي شئ فيها فلابد لي أن لا أتكلم بكيسي أو إجتهادي بل لابد لي من أن أذكر لك قول الله و قول نبيه لأنها أشياء غيبية لا تدرك بالحواس ولا تخضع للتجربة و الإجتهاد فمهما اجتهدنا لن نستطيع معرفة اي شئ من عوالم الغيب بدون ان يذكرها الله لنا حتي في أخبار من سبقونا قال تعالي لنبيه علي السلام : " ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك و ما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم و ما كنت لديهم إذ يختصمون " و ها هو الله تعالي في هذه الأية يخبر نبيه بأمر مريم و ما حدث في فعلهم معها ليروا أيهم يكفلها رضي الله عنها و قال الله عن ذلك كله : " ذلك من أنباء الغيب " و عقب الله قائلا " نوحيه إليك " فلا سبيل لمعرفة الغيب علي وجهه الصحيح و صفاتها و معرفة ما حدث من قصص الأولين إلا من نافذة الوحي فقط و لذلك قال تعالي " نَحْنُ

نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ " و أحسن القصص هنا تعني .. أفضله سردا و حقيقة و موافقا للواقع و أنفعه و أصوبه .. فإن اعتمدت مثلا علي معرفة اي قصص من قصص الأولين من غير الوحي لدخل فيها الكثير من الأخطاء و الأمثلة علي ذلك لا تعد ولا تحصي و منها الأساطير فهي محرفة من قصة حقيقة و لكن الكتاب القدامي كانوا يزيدون ليبهروا أو ينقصون ليزيلوا حقيقة طاعة لحاكم او غيره ..

إذن القاعدة الأولي " ان الله والمس و السحر و العين والملائكة و الجن من عوالم الغيب التي لن نستطيع معرفتها ولا معرفه قدراتها أو صفاتها و اسمائها أو اي شئ يتعلق بها إلا من نافذة الوحي "

و هذه القاعدة ستكون معنا في جميع مقالاتنا و سنكتبها فوق كل مقالة إن قدر الله لنا المتابعة في ابحاثنا ..

و علي هذا كلامنا اليوم حول شئ تعودنا عليه و انتشر في مجتمعنا الأقاويل و تقبلها المجتمع و نقلها بعض الدعاة بدون تثبت و هي ..

" كتاب شمس المعارف الكبري اشرس كتب السحر في العالم " ..

فلنبدأ بعدما قعدنا القاعدة المستخلصة من الكتاب و السنة نقد هذه الجملة التي تناقلتها الأجيال و سيكون كلامنا كله

بالدليل من الكتاب برقم الصفحة و من كتاب الله و سنة النبي عليه السلام ..

بسم الله

أولا : مؤلف الكتاب هو أحمد بو علي البوني و هو صوفي خرافي صاحب شذرات و شطحات من الجزائر من عنابة عاش في مصر و توفي بها و له الكثر من المؤلفات منها شمس المعارف الكبري و منبع أصول الحكمة و الأنماط و غيرها .. و هو صاحب الطريقة البونية .. أي نعم بارك الله فيك .. هو صاحب الطريقة البونية (طريقة صوفية) كما جاء في تاج العروس (34/ 288)

(و) أَبو العبَّاس (أَحمدُ بنُ عليٍّ) البُونيُّ صاحِبُ شمْسِ المَعارِفِ واللُّمْعَةِ، (شيخُ الطَّريقةِ) البُونيَّة فِي الأَسْماءِ والحُرُوفِ .

إذن بارك الله فيكم .. علمنا أن البوني هو رجل صوفي و له أيضا طريقة .. ولا يخفي عليكم ما يفعله اصحاب الطرق الصوفية من خداع ليكثر عدد من يتبعونهم .. و يحصلون علي تبجيلهم كما ذكر ذلك في شرح رسالة العبودية لابن تيمية - عبد الرحيم السلمي (3/ 11، بترقيم الشاملة آليا) .. ولا يخفي عليكم شطحاتهم التي وصلت إلي أنهم يدعون بأن الله يحل في أجسادهم و يتكلم (و كان هذا مفتاح خرافة كلام الجن علي اللسان التي سنبينها إن شاء الله في بحث آخر) ..



وأشهر كتاب في السحر هو كتاب: (شمس المعارف الكبرى) مؤلفه: أحمد بن علي البوني، ويرون(قلت :يعني الصوفية) أن هذا الرجل من الصالحين، وقد ترجم له يوسف بن إسماعيل النبهاني في (جامع كرامات الأولياء) وقال: كان البوني من الأولياء الصالحين، وكان من كراماته أنه مجاب الدعوة.

و يروي من أكثر من وجه أن من أشهر من أخذوا عنه هو المرسي أبو العباس و قالوا أن من كرامته إستجابة الدعوة .. ولا يخفي عليكم من هو المرسي أبو العباس ..

إذن علمنا الأن من هو البوني اين عاش و أنه صوفي خرافي و ثناء الصوفية عليه بالكرامات و منها إستجابة دعواته ..

هذا من جانب مؤلف الكتاب .. و الأن لنتعمق قليلا داخل الكتاب ليكتمل بحثنا و لنعلم .. هل فعلا كتاب شمس المعارف الكبري كتاب سحر كما اشتهر و انتقل عبر العصور أم أنه مجرد كتاب شطحات صوفية لا أكثر ولا أقل ..

عند حديثنا علي الكتاب لا يخفي علينا من أول وهلة و التي تشد القارئ و هي وجود و حشو الكتاب كله بقال الله و قال الرسول و مقدمة الكتاب و الثناء علي الله بأسمائه و صفاته ثم لا تلبث إلا أن تري مربعات (و التي اشتهرت بين الناس بأنها طلاسم سحرية لا يعرفها إلا السحرة و أن الجن يتحركون بها و يقضون حاجات السحرة عن طريقها و ما إلي ذلك من الخزعبلات التي لا نعرف لها دليلا إلا القصص و القصاصين) .. و الادعية و الأشعار الصوفية و النقولات عن الأقطاب وذكرهم و إدعائه بأن لهم تصريفا في الكون و و و

مما سنذكره في هذا البحث و لكن .. ألا تلاحظ أن كل ذلك يفعله و يتداول بين الصوفية .. إذن إلي الأن نري أن الكتاب لا شئ فيه أشعار صوفية و أقطاب و كرامات و ذكره و إعترافه و ثنائه عليهم في كتابه ..



سنذكر بعض الأدلة من داخل الكتاب و إلا فالأدلة لا يخلو منها صفحة و لكننا سنذكر اشهرها ..

صفحة : 92 طبعة بيروت :

جزء خاص بعزيمة مشهورة أيضا عند جل الطرق الصوفية و هي العزيمة الجلجلوتية و تسمي عزيمة اسم الله الأعظيم عندهم ..

و قبلها قال البوني : " و قال الشيخ محمد قنبرس أنه وجد هذا الخاتم في جامع الصوفية علي هذه الصفة " طبعا ثم اتبع ذلك كعادته برسوم غير معلومة و اختلف حتي الصوفية ارباب الطرق في تعريفاتها فكل طريقة تفسرها بشئ ما غير الأخري ..

و الكثير و الكثير في العديد و العديد من مواطن الكتاب ..

منها أيضا ما ذكره البوني في صفحة 258 طبعة بيروت :

تحت رسمه من رسماته الخرافية □ : "فصل أذكر فيه فائدة جليلة : و ذلك أني دخلت بعض المساجد لأصلي فيه فوجدت أخا من إخواني ممكن كنت أجتمع و إياه عند شيخنا أبي عبد الله الشيخ عبد الحق السبتي فقرأ عليه فلما رأيته

ذلك اليوم في المسجد دنوت منه لأسلم عليه فوجدته منتصبا للقبله وهو ينظر .. إلي أن قال "و بحق هذه الأسماء هاها هيهي هو هو ياه ياه آه آه .. "

أقسمت عليكم اي لغة هذه .. و هل هذه لغة أم بعض التأوهات ..

وعند قرائتنا لمثل هذه الكلمات و غيرها التي بحثنا عنها بل و حتي هم لا يعرفونها علي حقيقتها فتجد للشئ الواحد اكثر من تفسير عندهم و لا يجتمعون علي معني واحد فكل شخص فيهم يريد ان يتميز عن غيره فيدعي انه يعرف سرا او او

ولا ننسي ان لهم شطحات تحدت حدود الواقع و المنطق مثل ان الله يدخل في اقطابهم و يتكلم و و وغيرها ..

فليس بكثير علينا ان نسمع آه و أي و أو و هاها و غيرها ..

أيضا ذكره لرياضات الصوفية .. في الكتاب و جعلها وسيلة لتنزل الملائكة و العالم العلوي علي من يختلي رياضيا فمثلا : صفحة 130 طبعة بيروت .. قال البوني " ذكر رياضة يا كريم يا رحيم و القسم و البخور " ثم يتبع ذلك بكيفية الرياضة ولا تنسي اخي القارئ ان مؤلف هذا الكتاب أصلا هو مؤسس شيخ الطريقة البونية .. فقال : " اعلم أنك إذا أردت العمل بهذه الدعوة الشريفة و هذه الرياضة فتختلي في مكان خال من الناس بعيد عن الاصوات و تكون طاهر الثياب و البدن و تصوم مدة الخلوة و الرياضة لا تفطر إلا علي زيت و زبيب و دقيق الشعير و الخل إن أمكن ذلك و تكون مدة الخلوة 7 ايام .. "

و كما لا يخفي عليكم أن هذه الرياضات هي جزء لا يتجزء من الطرق الصوفية ..

ناهيكم عن ذكره الكثير من الأشعار الصوفية المشهورة فعلي سبيل المثال :

" بخشوع القلوب عن السجود　　　لك يا سيدي بغير جحود

و بك الله يا جليل فلا شئ　　　يدانيك في غليظ العهود

و بكرسيك المكلل بالنور　　　إلي عرشك العظيم المجيد

و بما كان تحت عرشك حقا　　　قبل خلق السماء و صوت الرعود

ذاك إذ كنت لم تزل قط إليـ　　　ـها عرفت بالتوحيد

و غيرها من الأشعار .. إذن فالكتاب يا أخوة ملئ بأسماء الله و الخلوات و الأدعية و الأشعار و العزائم التي إلي الأن تتلي في حضرات الصوفية و ساحات رقصهم

و الكثير و الكثير و إنما أردت الإختصار في المقال ولولا ذلك لصنفت كتاب خاص بذلك ..

ننتقل الأن بعض النقاط المهمة :

قد علمنا أن البوني صوفي ..

قد علمنا أن ما جاء به البوني لم يسبقه إليه أحد قبله حتي ان المرسي و غيره أخذوا منه ..

قد علمنا أن أول من أدخل الأيات القرآن في بعض الأشكال و اسماها أسرارا و اسماها العوام أو من لا يعرف (سحرا) هو البوني و لم يسبقه إليه أحد قبله ..

قد علمنا ان الكتاب ملئ بأشعارهم ..

قد علمنا ان الكتاب ملئ بالثناء علي اقطابهم و شيوخ طرقهم و النقل عنهم ما يقولون عليه (أسرار و علوم الباطن)

قد علمنا ان الكتاب ملئ بالكلام الذي لا يعرف معناه بل لا نعرف ممن يعرف بالعقل و يقول مثل ذلك ..

قد علمنا ان الكتاب ملئ بالعزائم التي إلي يومنا هذا تقرأها الطرق الصوفية في حضراتهم ..

و علمنا ان الكاتب ينقل ما يقال له او يراه بدون حتي تحري و لا نستغرب ذلك فهذه هي عادة الصوفية و لا سيما أنهم يعارضون اهل الحديث في ذلك فيقولون أنهم (اي الصوفية) يأخذون علومهم حي عن حي اما نحن (أي اصحاب الحديث) يأخذون العلوم ميت عن ميت .. و هذا يدل علي إحتقارهم لتقصي الخبر و إثبات صحته من ضعفه و لذلك من السهل ان تدخل فيهم اي شئ تريد ..

و هنا نريد ان نسأل بعض الأسألة المهمة :

ذكر البخاري حديث سحر النبي عليه السلام من طريق عائشة رضي الله عنها و من سحره هو لبيد بن الأعصم ساحر من سحرة اليهود

و السؤال هنا : هل لبيد بن الأعصم سحر النبي مثلا بعزيمة الجلجلوتية التي يقرآها الصوفية إلي الأن و التي في بدايتها

- بدأت ببسم الله روحي به اهتدت
- إلي كشف اسرار بباطنه انطوت
- و صليت في الثاني علي هادي خلقه
- محمد من زال الضلالة و الغلت

إلي أخر العزيمة



هل يعقل ان يكون لبيد بن الأصم سحر النبي عليه السلام و قبل ان يسحره سم الله وصلي علي النبي محمد .. ومعلوم انه يهودي بل من اشهر سحرة اليهود ؟

و إن افترضنا فكيف لنا بقول النبي عليه السلام " كما عند مسلم في صحيحة : " إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله و عند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم "

تخيل مجرد البسمة تمنع الشيطان من ان يدخل بيتك

و أيضا عن طعامك ففي نفس الحديث عند مسلم من طريق جابر بن عبد الله " و إذا لم يذكر الله عند طعامه قال (أي الشيطان) : أدركتم المبيت و العشاء "

إذن مجرد البسمة تبعد عنك الشيطان عند دخول بيتك و عند طعامك بل و النبي عليه السلام قال كما عند البخاري و مسلم من طريق ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله عليه السلام " إذا نودي بالصلاة (يقصد الأذان) أدبر الشيطان و له ضراط حتي لا يسمع التأذين "

و قال تعالي " من شر الوسواس الخناس " أي الذي يفر عند ذكر الله

و قال تعالي " و إذا قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا "

و قال تعالي " إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون "

بعد كل هذه الأدلة الصحيحة من الكتاب و السنة و التي تدل علي ان ذكر الله يطرد الشيطان قطعا ..

ثم تقول لي بأن هناك عزيمة تستحضر الشيطان بدايتها

بدأت بيسم الله

و فيها و صليت في الثاني علي هادي خلقه محمد من زاح الضلالة و الغلت

و تريد مني التصديق بهذه العزيمة و اكذب كلام الله و كلام رسوله ..

إذن هذا الأمر يتعارض مع كلام الله و كلام رسوله ..

فالسحر الذي سحر به النبي محمد عليه السلام علي يد لبيد بن الأعصم اليهودي يستحيل ان يكون فيه ثناء علي الله و علي نبيه ..

إذن كيف كان سحر لبيد بن الأعصم .. ؟

لا نعلم إلا أنه استخدم أدوات خاصة بالنبي ولكننا لا نعلم كيف كان و كيف كانت هيئته و صفته ..

و عند تجميعنا لجميع ما تم ذكره في المقال المختصر نخرج بان

كتاب شمس المعارف : هو كتاب مؤلفة يتزعم طريقة صوفية تسمي البونية نسبة إلي البوني ..

ثناء الكثير من الصوفية علي الكتاب و صاحبه و أنه أوتي من العلوم الباطنة لا لم يؤتي غيره ..

كلام ليس له معني أو صفي ولا لغة فيه علي الإطلاق مثل آه آه ها ها هي ها هي هي هو هو و غيرها من طحات المجاذيب الصوفية

جميع العزائم التي فيه تختلف بآيات الله و الصلاة علي النبي محمد عليه السلام حتي في الأوفاق و المربعات مثل مربع (ب ط د ز ه ج و ا ح) المثلث ستجدون حولة جبريل و ميكائيل و إسرافيل و عزرائيل (يزعمون أنه اسم ملك الموت)

جميع ما في الكتاب لم يأتي به النبي عليه السلام ولا نعلم له سندا و دليلا من الكتاب و السنة بل ما يزعمة الكتاب من تحضيرات و إستدعاءات للملائكة و الجن تتعارض مع الكتاب و السنة .

كما ان الكتاب ملئ بالخرافات التي هي ايضا من كيس البوني و زعمه بأنه يمتلك حقيقة هذه الأشياء مثل طاقية الإخفاء و غيرها من رؤية الملأ الاعلي و الملائكة و حضورهم معك و كلامهم معك و رؤية ما في اللوح و و

و كل ذلك داخل الخلوة و التي هي عامود من أعمدة الصوفية ..

عند معرفتها بالسحر الحقيقي الذي سحر به موسي و محمد عليهما الصلاة و السلام غير أن سحر النبي اعتمد علي أثر كان يستخدمه النبي مثل مشط و مشاطه و جف طلع نخلة ذكر ..

و بذلك يكون كتاب شمس المعارف كتاب صوفي و ما فيه خرافات و ضلالات أكثر منه كتاب سحر .. فلا دليل عندنا يثبت بأن ما في الكتاب من عزائم هي عزائم حقيقية سحرية لا سيما بوجود البسمة و الصلاة علي النبي في بدايتها و من ادعي ذلك سألناه

إن كان هذه العزائم حقيقة فهل استعملها لبيد بن الأعصم في سحرة للنبي عليه السلام ؟

.. و هل قالها أحد قبل أحمد بن علي البوني ؟ إن كانت الإجابة نعم : فليخبرنا بالدليل و إن كانت لا فمن أين أتي البوني بذلك و هو مثله مثل بقية الصوفية ؟

و كيف اعرف انها عزائم سحرية فالسحر غيب و الإستدلال علي تأثيره لا يكون إلا من باب الوحي ؟

و هل آه آه آي آي أو أو هاها هي هي عزيمة سحرية ؟

فإن قال لك أحد لأن فيها اشياء غير مفهومة فهي سحر .. ردنا عليه و قلنا .. هل كل شئ غير مفهوم تنزله منزله السحر ؟



" إذن فمن أين أتيتم بأن كتاب شمس المعارف كتاب سحر ؟!

في حين أن جميع ما فيه يشير إلي شذرات و خرافات الصوفية ؟!

" ليس كل غير مفهوم سحر "

" إن كنت تجهل شئ فالأصل فيه الوقوف علي الدليل إن وجد و إن لم يوجد وكل إلي الله تعالي ..ولا يجوز نسبه لشئ غيبي إلا بوحي .. "



عنوان المقال

مقال: الشيخ أحمد تركي

وجوب محبة النبي صلى الله عليه وسلم

إن لحب الله ورسوله منزلة عليا في الإسلام؛ بل هو جزء من الإيمان :

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

" لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ .(متفق عليه).

فكلما ازداد إيمان العبد كلما اشتد حبه لله ولرسوله؛ قال تعالى: { وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ } (البقرة: 165).

فمحبة الله ورسوله مقدمة على غيرهما مهما كانت منزلتهم من الإنسان .

يقول القاضي عياض في حب الرسول بين الحقيقة والادعاء حيث يقول فى كتابه الشفا بتعريف حقوق المصطفى:

" اعلم أن من أحب شيئاً آثره وآثر موافقته، وإلا لم يكن صادقاً في حبه، وكان مدعياً، فالصادق في حب النبي- صلى الله عليه وسلم- من تظهر علامة ذلك عليه، وأولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع أقواله وأفعاله؛ وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه في عسره ويسره، ومنشطه ومكرهه، وإيثار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه، وموافقة شهوته".

إن حب النبي صلى الله عليه وسلم لهو فرض لازم على كل مسلم ومسلمة، لا يتحقق بدونه الإيمان، قال النبي صلى الله عليه وسلم:

«لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين».

بل إن هذه المحبة مقدمة على حب النفس والمال والولد، وحذر من مخالفة ذلك، فقال:

{قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} (التوبة: ٢٤).

قال القاضي عياض رحمه الله:

"فكفى بهذا حضًّا وتنبيهًا ودلالة وحجة على إلزام محبته، ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقه لها صلى الله عليه وسلم؛ إذ قرّع تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وأوعدهم بقوله تعالى: {فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ}.

ثم فسّقهم بتمام الآية فقال: {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}، وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله عز وجل. فهذه آية عظيمة تبين أهمية ووجوب هذه المحبة.

ويأتينا دليل عظيم وبليغ في قول الحق: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ...} (الأحزاب: 6)

لذا فنحن نرتبط في هذه المحبة بالقلب والنفس، وبالعقل والفكر، وبسائر الجوارح والأحوال والأعمال، فتكمُل حينئذٍ المحبة؛ لتكون هي المحبة الصادقة الخالصة الحقيقية العملية الباطنية، فتكتمل من كل جوانبها؛ لنؤدي بعض حقِّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - علينا.

وحبُّ المسلم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - عمل قلبيّ من أجَلِّ أعمال القلوب، وأمر وجداني يجده المسلم في قلبه، وعاطفة طيبة تجيش بها نفسه، وإن تفاوَتت درجة الشعور بهذا الحب؛ تبعًا لقوة الإيمان أو ضَعفه .

ولهذا قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: لا يؤمن أحدكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من والده وولده، والناس أجمعين)..



فهرسة

مجلة شذرات ثقافية

العدد الخامس

بتاريخ: 14/12/2020

الإعداد:

الاستاذ وائل مجدي

تصميم:

محمد أبو مجاهد السوسي